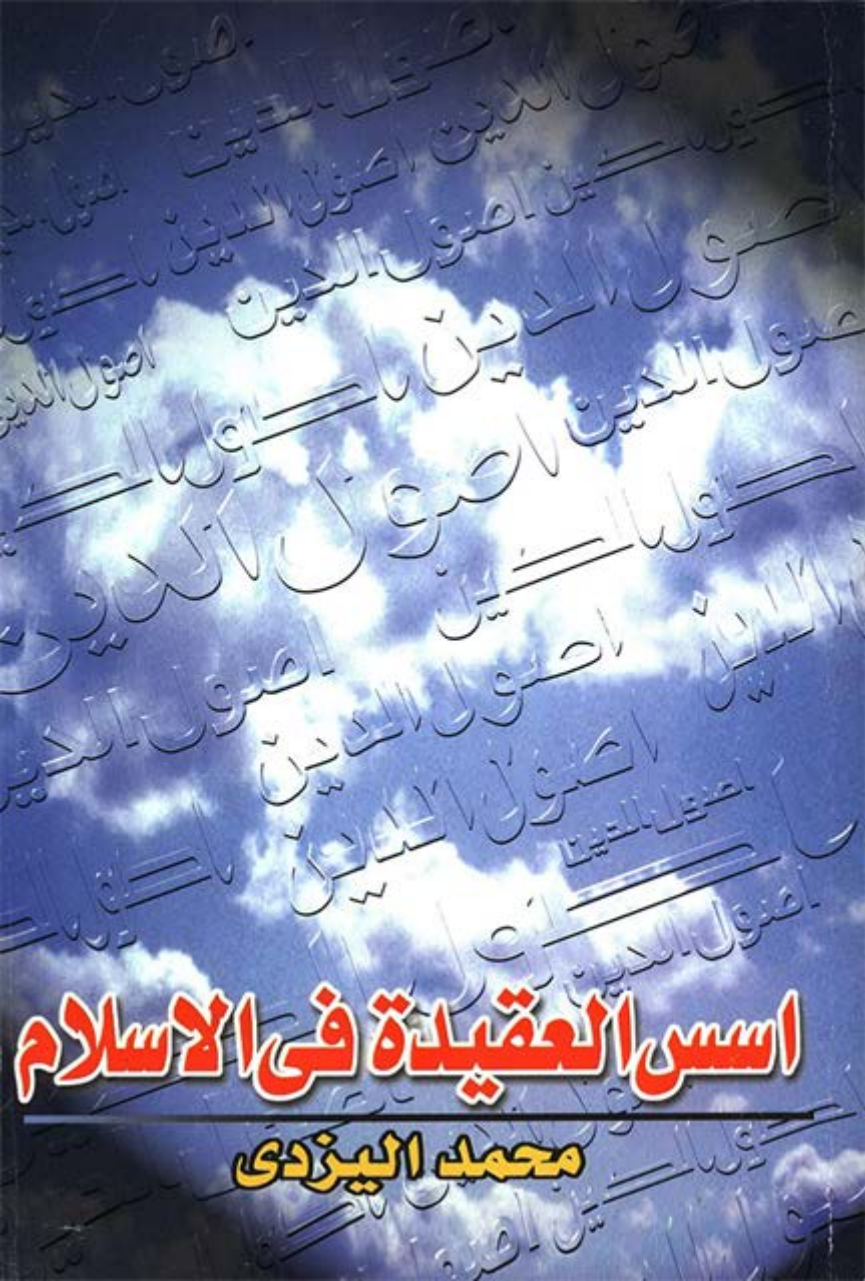
اسس العقيدة فى الاسلام
محمد اليزدى

أُسس العقيدة في الاسلام

١ ـ التّوحيد .
٢ ـ العدل .
٣ ـ النّبوة .

تأليف

آية اللّه الشّيخ محمّد اليزدي

شبكة كتب الشيعة

تعريب
المؤسّسة الاسلاميّة للتّرجمة

shiabooks.net
mktba.net < رابط بديل

● اسم الكتاب: أُسس العقيدة في الاسلام ○
● المؤلف: آية الله الشّيخ محمّد اليزدي ○
● النّاشر: پيام مهدي(عج) ○
● تعريب: المؤسّسة الإسلامية للتّرجمة ○
● الطّبعة الأولىٰ ○
● سنة الطّبع شِتاء ١٣٧٧ هـ ش ○
● الكمية: ٣٠٠٠ نسخه ○

ISBN: ٩٦٤-٦١٠٠-١١-٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

في تلك الفترة القصيرة التي كانت تتّسع فيها رقعة الثّورة الاسلاميّة، وتمّ فيها إبعاد القائد الى النّجف الأشرف ليقود الثورة من هناك على الرغم من القيود والضّغوط الكثيرة التي مورست ضدّه، كان العدو يسعى جاهداً لتعزيز سلطته في الدّاخل، ويتوسل بكل شيء من أجل السّيطرة على جيل الشّباب، وتخريب معتقداتهم وأفكارهم على الأخصّ.

الآن وحيث انتصرت الثّورة وأعطت ثمارها، واجتازت كثيراً من المخاطر، وأمامها طريق الانتصار النّهائي، يُجدد طبع هذا الكراس، وأكتفي هنا بذكر كيفية ترتيب هذا الحوار كمقدّمة رجاءاً للفائدة.

ففي اللّيالي الأولى من الشّهر رمضان المبارك وبعد إنتهاء البرنامج المعتاد، أُعلن عن الاستعداد للاجابة على الأسئلة من أجل فائدة أكثر. وكانت الأسئلة في الجلسات الأولى سطحيّة جدّاً تُطرح فيها قضايا عادية، ونتيجة للاستمرار والمداومة أخذ عدد الحضور يزداد بالتّدريج ومستوى الأسئلة يرتفع شيئاً فشيئاً، الى الحدّ الذي طُلِبَ فيه من إمام الجماعة والمستضيف أن يفسح لنا وقتاً أكثر، وليكون زمام العمل بأيدينا، ومن هنا فقد اتّسع مجال النّقاش. وتمّت الاجابة على المسائل التي تهمّ جيل الشّباب، مع شرح القضايا السّياسية والأُسس الفكرية للثورة الاسلامية مع التعريف بمقدّماتها

وأسبابها، حتىٰ أنه كان يؤخذ بنظر الاعتبار ـ في الردّ علىٰ الأسئلة ـ التمهيد لمبررات الأسئلة اللاحقة.

وفي احدىٰ اللّيالي، بعد إنتهاء البرنامج والخروج من الاجتماع، جاءني شاب وقال: عيّن لنا وقتاً لايكون فيه أحد موجود معنا حتىٰ ضيفكم، وكان جاداً في طلبه بشكل غير عادي، فتمّ تعيين الوقت المناسب.

دخل شابان، وبعد التّحية والمجاملات المعتادة، قال أوّلهم الذي كان قد طلب وقت اللقاء مشيراً الىٰ الثّاني: إن هذا السّيد الذي تجدونه الآن جالساً أمامكم لايعتقد بأي شيء، ولم يعتنق أو يعتقد بأي فكر أو شخص، وقد رافقني الىٰ المسجد لحضور عدد من الجلسات هناك نتيجة الحاحي عليه وتابعنا النّقاشات التي دارت فيها عن بُعد، الىٰ ان قال لي قبل أيّام:

يبدو أنه يمكن الحديث مع هذا الشّيخ واذا سمح نتحدث معه قليلاً، ومن ثمّ أضاف: أنت تعلم أن المدينة صغيرة، ولو كنّا قد تحدّثنا مع علمائها لكفّرونا وأصبح العيش فيها صعباً بالنسبة لنا و...

من الممكن والآن اذا تسمحوا له بطرح سؤاله.

سألته عن مستواه الدّراسي والثّقافي وأفكاره وتجاربه، فعرفت أنّ مستواه في الحدّ المتوسط، وكان مولعاً بالمطالعة والسّفر، ويعتقد اعتقاداً شديداً بالفكر المادي دون أن ينتخب لنفسه نظاماً معيناً.

فبدأ الحديث بسؤال ملؤه الاحتجاج حول العدالة في الكائنات، وعدال الله تعالىٰ، وإنكار جميع المقدّسات بالنّتيجة.

وهذا الكراس يحتوي علىٰ خلاصة للنّقاشات التي دارت معه.

وفي النهاية اقتنع بوجود قوّة غير مادية ؛ حيّة وفعّالة ، وذات إرادة وقدرة في العالم يمكنها أن تكون علّةً لموجودات العالم ، وان النّظام الدّقيق في هذا العالم يمكن بنفسه أن يكون شاهداً ودليلاً علىٰ ذلك ، وأن تبرير ما هو خلاف العدالة في نظام الخلقة في الظّاهر ، يبدو صحيحاً بالتّعرف علىٰ هذا النّظام .

أجل ، وبحسب تعبير الامام قائد الثّورة ، يجب استقبال الشّباب استقبالاً أبويّاً والتّحدّث معهم وانقاذهم من الخطر ، وعلىٰ الشّباب أن يكونوا علىٰ اتصال بعلماء الدّين والفضلاء لئلا يقعوا فريسة المنافقين وأذناب الاستعمار المحترفين كافة ، ويخسروا دنياهم وآخرتهم .

آمل أن يساهم هذا الكراس بدوره في خدمة هذا الهدف .

وفي ختام هذه المقدّمة أُشير الىٰ بعض النّكات :

١ ـ أن الكراس الموضوع أمامكم هو حوار جرىٰ في عام ١٣٨٧ للهجرة في شهر رمضان المبارك مع شخصين ، ومن ثم تمّ جمعه بعد عام ، ونُشر تحت عنوان «الله والرّسول» .

٢ ـ ولما لم يكن هناك مجال لمراجعة البحث فقد أجرينا عليه بعض التّغييرات الطّفيفة ، وأرسلناه علىٰ ما هو عليه الىٰ مركز ناصر للنشر الذي يديره جناب الفاضل السّيد سليماني رامسري ، والذي تحمّل مشكوراً أعباء طبعه ونشره تحت عنوان (أُسس العقيدة في الاسلام) .

محمّد اليزدي

١٣٦٠ / ٩ / ٩

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مقدّمة الطبعة الأولىٰ

صورة الوجود تنبع من حبّ الذات، إن لم أقل أنها ذاتٌ هي حبّ.

إنّ حبّ الانسان لذاته وتعلّقه بها المتكون في ظل صورة الوجود، لهو من أعقد أسرار عالم الخلقة، وإنّ بني آدم أضعف من أن يتمردوا علىٰ ناموس الخلقة هذا. إنّه يريد ذاته الىٰ درجة لا يلتفت الىٰ مسعاه هذا في كثير من الأحيان حتىٰ يجد نفسه فجأة يعمل لصالحها.

إن النّكتة الجديرة بالاهتمام هي أن معنىٰ وحقيقة الذّات (الانسانية) في تصاعد ونزول، فتارة تتسع دائرتها لتشمل الجيل والعنصر (الانساني) وتلتذ بالتّضحية الفردية من أجل سعادة المجتمع.

وتارة أخرىٰ تهوي نحو الانحطاط الىٰ الحدّ الذي تُضيِّع ذاتها في ذاتها، وتمتلئ حياته (الانسان) بالسّعي والكد الممزوج بالقلق والاضطراب، والفحشاء والمنكر، والفتنة والفساد، ويظل يتلوىٰ في وضعه هذا، الذي يدعو الىٰ الإشفاق، حتىٰ يموت بين الجدران الأربع التي بناها لنفسه.. آه من هذه الضلالة وهذا التيه.

أيها الانسان، لقد خُلقت الحياة والسّعادة لأجلك ولم تُخلق أنت لحياة القلق والاضطراب. تعال اعمل بتعقل، ولا تغفل عن نظام الخلقة وقوانينه

ونواميسه.. ان الخلقة ليست العوبة بيدك ، وعليك أن تُسعد نفسك بالتّعامل الصّحيح مع نظام الوجود .

أيها الانسان تعال والتحم بكامل وعيك بروح العالم ، أو بعبارة أصحّ ، لا تغفل عن العلقة الموجودة بينك وبين روح الوجود ، واحصل عن طريق الوجود علىٰ الحياة والوجود اللائقين بشأن الانسان .

وليس لهُداة السّماء هدفٌ غير هذا .

وفي ختام هذه المقدّمة ، لابدّ من الإشارة الىٰ أن هذا الكراس مخصّص للمستويات المتوسطة راجياً من العلماء الكرام أن يُلفتوا أنظارنا الىٰ نواقصه .

محمّد اليزدي

الرّكن الأوّل

في العقيدة الاسلامية

التّوحيد

* * *

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام علىٰ محمّد وآله الطّاهرين ولعنة الله علىٰ أعدائهم الىٰ يوم الدّين.

بعد أن استجمع نفسه وكأنه ينوي أن يطرح موضوعاً مهماً للغاية وفي الوقت الذي كانت شفتاه ترتجفان وتخرج كلماته مرتبكة قال: مع فرض وجود إلٰهٍ ما، فلماذا أعطىٰ لبعض النّاس مثل هذه القدرة الظّالمة، وخلق آخرين ضعفاء مساكين؟

ما ذنب هؤلاء؟

ما ذنب هذه الفتاة البريئة العفيفة حتىٰ تقع فريسة لأحد الجلادين، وبعد أن يقضي حاجته منها يقتلها و...

ما ذنب هؤلاء النّاس المساكين الكادحين حتىٰ تأتي حفنة من الاقطاعيين الجُناة ويستولوا علىٰ حقوقهم وثمرة أتعابهم؟

ماذنب هذه الشّعوب الصّغيرة الواقعة في أسر الشّعوب الكبيرة التي تنهب ثرواتها الانسانيّة والمعدنيّة؟

ما ذنب هؤلاء المساكين الذين يُبتلون بالزّلازل والعواصف، والسّيول، والأمراض، ومختلف الابتلاءات الأُخرىٰ كالحروب الكبيرة؟

أي إله هذا ؟

ولمّـا رأىٰ وجـهاً مـبتسماً وأُذنـاً تـصغي السّـمع بـاهتمام الىٰ كـلامه ، أخذ يسيطر علىٰ أعـصابه شـيئاً فشـيئاً ويـذكر لبـعض الأمـثلة التـي تـحرّك المشاعر الإنسانيّة ، وقال متحمّساً: أيّ إلهٍ هذا ؟ وأي حكيم عادل هذا؟ وأيّـة خلقة هذه ؟

تارة يميت جـماعة بـالزّلازل ، وأُخـرىٰ بـالسّيول والعـواصـف ؛ وثـالثة بالأمراض المختلفة من وبـاء وسـرطان و ... وتـرك النّـاس فـريسة لضـغوط الحروب ؟!

أيّ عدالة هذه .. فهناك أُناس يموتون جوعاً ، وآخرون يعيشون متخومين دائماً ؛ وهناك من يعانون من البرد والحر ، وآخرون يتمتعون بوسائل التّدفئة والتّبريد المتطورة و ...

ـ لقد استمعتُ إليه ببرود تام ورحابة صدر حتىٰ إنـتهىٰ مـن كـلامه أخـيراً وصَمَتَ ينتظر الجواب .

وبخلاف ما كان يتوقع ، **قلتُ له بلين** : ماذا كنت ستفعل لو كنت أنتَ الإلٰـهُ والخالق ؟

وظن أنني أُريد أن آخذ الموضوع علىٰ مـحمل المـزاح ، **فـقال** : عـلىٰ أيّـة حال ، أنا لستُ كذلك الآن .

قلت : لنفترض أنه تقرر أن تكـون أنـت بـديلاً مـن الله تـعالىٰ ، فـي تـنظيم برنامج للخلق، فكيف ستُنظم والحال هذه، هذا المشروع ؟

لا يوجد هناك إله ؟

الطّـــالب ـ إنـــني قـــلت أنـــه ليست هـــناك ـ بـــالأساس ـ مسألة طـــرح وخلق ووجود إله وخالق كي يُنظم (الأشياء) بهذه الطريقة أو تلك ، لقد قلت علىٰ فرض وجود إله ما ، إنني لا أفهم للألوهية معنىً مع وجود هذه الأوضاع المضطربة والفوضوية وكل هذه المظالم ، بل واعتقد أنّ هـذه الفـوضىٰ هـي بحدّ ذاتها دليل علىٰ عدم وجود الله ، وبهذا يجب عـلى كـلّ فـرد أن يـحصل من هذه الحياة الدوّارة المُملّة بقدر ما يمتلكه من قوة وسلطان ، من حيث أنّه ليس في البين مسألة عدل وظـلم ، وبـالطّبع لايـبقىٰ ـ والحـال هـذه ـ مـورد لكلامكم بأن هناك حساباً وكتاباً وقيامة .

ـ مع هذه المسائل التي قـلتها ، أرىٰ مـن المـناسب أن نـنصرف عـن هـذا الكلام العاطفي ، ونركّز حديثنا ـ قليلاً ـ حول القضايا الأساسية عـىٰ ان تُحلّ العقدة التي تزعجك وتجعلك تدير ظهرك حتىٰ عن أوضح البديهيات.[1]

ومن الواضح أن عبارتك هذه ناشئة عن انزعاجك وعواطفك الثّـائرة ، لا علىٰ أساس المنطق والدّليل ، أولستَ طـالباً جـامعياً ؟ ألم تـتعلم وتـدرس ؟ يُفترض بالانسان أن يكون مسيطراً علىٰ عواطفه في إطار العقل والمنطق كـي يقترب من الحقائق ، لا قيمة للحياة يصنعها الانسـان فـي مـخيلته وفـي ظـلّ أفكاره بمعزل عن الواقع، لانّه، كلّما كان الانسان بعيداً عن الحقائق والوقـائع كان متخلّفاً بنفس المقدار فاشلاً في حياته فـي خـاتمة المـطاف ، حـتىٰ وان

---

(١) الوجدان الانساني وقبل كل شيء يرى ضرورة وضع حدود للمأكل والملبس ،والمسكن ، والمركب والأشياء الضرورية الأخرى خصوصاً من وجهة النظر الاجتماعية. في الوقت الذي لايـنسجم هذا الأمر مع تعبير : كل يجب أن يحصل من الحياة بقدر ما يمتلكه من قوّة وسلطان

كان في أعلىٰ مراحل العلم الذّهني .

البحث الاساس :

لو سمحتم ، من الأفضل أن ننصرف الىٰ عبارتك الأولىٰ التي هي في الواقع أساس كلّ هذه المسائل ، انك قلت : علىٰ فرض وجود إله ما ،فلا جدوىٰ في الإله المفترض ، ويجب ان نحسم البحث .

الطّالب ـ أتقصد أن نبحث في مسألة وجود الله أو لننظر نظرة كونية كما يُقال ، فعلىٰ الرّغم من إنني لستُ مستعدّاً لهذا الأمر ، ولكن لابأس ، وبالمناسبة أنا أرغب كثيراً في الوقوف علىٰ حقيقة هذه المسألة .

ولأنّه كان قد هدأ بالتّدريج نتيجة لتفريغه ما كان يعاني منه من عُقد ، فقد انشرح أكثر وقال : تفضلوا أرجوكم :

☆☆☆

وجودالله

شكرته، وقلت: قل لي هل تشكّ في أنك موجود؟

الطّالب ـ كلا، لا أشك في انني جالس الآن أمامكم وأتحدّث اليك.

ـ حسناً، هل كنت موجوداً دائماً؟ أو مضى على وجودك مثلاً ثلاثون عاماً؟

الطّالب ـ ما من شك في أنني لم أكن على هذه الهيئة في يوم ما، وقد جئت الى الوجود عن طريق والديَّ.

ـ وكيف جاء أبواك؟

الطّالب ـ واضح أنّهما مثلي ـ أيضاً ـ لم يكونا موجودين في يوم ما، وقد جاء كلٌ منهما الى الوجود بواسطة أب وأم، وكذلك سيأتي يوم لايكونان فيه موجودين، وبشكل عام أن هذا بحدّ ذاته واحد من نواميس الطبيعة، حيث يوجد النّاس عن طريق التّوالد والتّناسل، ويعيشون لمدّة معينة بأشكال وظروف مختلفة، ومن ثمّ يموتون، ولا ريب في أنني أنا وأنت لسنا مستثنيين من هذا القانون.

وجود النّظام والقانون:

ـ طيب، طيب جداً، ما هو هذا النّاموس أو القانون العام الذي تفضلتم به، وكيف هو، ومتى وِجدَ، والى متى سيبقى؟

الطّالب ـ ماذا اقول، فالمسلَّم به هو إننا لانستطيع أن نذكر بداية ونهاية لهذا القبيل من القوانين والنّواميس الطّبيعية، إلّا أنّ جهاتها وأسبابها معروفة الى حدٍّ ما، كما وتوجد هناك بعض التّخمينات بصدد زمانها.

ـ صحيح، قل لي هل هناك نواميس أخرىٰ، حيث تقول أن التّوالد والتّناسل واحد من النّواميس الطبيعية ؟

الطّالب ـ أجل، لقد توصلت العلوم الطّبيعية ـ اليوم ـ الى أنّ هناك قوانين عامّة ثابتة تضمن حركة الكون والفعل والإنفعالات الحاصلة فيه، منها مثلاً الجاذبية وتناسبها مع حجم الأجسام، التي تتعلق بها مسائل أوزان الأجسام وخفتها وثقلها[1] وشكلها.

ومن ذلك ـ أيضاً ـ القوانين السّائدة في عالم الذّرات ودوران الالكترونات حول محور النيوترونات والبروتونات، وعدد كل من أقسامها المركزية والمحيطة بها[2] والقفزات وتغيير المدار، والشّحنات الكهربائية الموجبة

---

١) فمثلا اختلاف وزن كل جسم في القطب وخط الاستواء يساوي واحداً من مائتين، أي ان الجرم الجسمي الذي يساوي وزنه ١٠ كيلو غرامات هو (نيوتن ٩٨,٣ = ٩,٨٣ × ١٠ = P) في القطب. و(نيوتن ٩٧,٨ = ٩,٧٨ × ١٠ = P) في خط الاستواء نيوتن (الوزن من نوع الطاقة والنيوتن هو وحدة قياس الطاقة).

وكما هو ثابت في الميكانيك الكلاسيكي، ان جرم الجسم هو مقدار ثابت ولا تؤثر في مقداره تغييرات السرعة، والضغط، والحرارة، والحالات الفيزياوية والكيمياوية، في حين تؤثر هذه العوامل في التغييرات الاخرىٰ كحجم الجسم.

٢) إنّ الذّرة هي أصغر مكونات الجسم، واذا جزأناها بواسطة العوامل الفيزياوية ستفقد خاصيتها. وكما نعلم أن مواد واجسام هذا العالم كلها تتكون من النواة التي لايتجاوز عددها المائة، بل ان جميع الظواهر المادية والعناصر الطبيعية متكوّنة من شيء واحد، أي الطاقة المتكاثفة علىٰ شكل الكترون وبروتون ونيوترون.

وللبروتونات كهربائية موجبة، إلا ان للنيوترونات شحنة مزدوجة على الرغم من وجودها ←

والسّالبة ، والمجالات المغناطيسية التي تتحقق في ظلّها .

وأخيراً ، المسائل المعروفة في علم الفسلجة والبيئة (النّباتية ، والحيوانيّة ، والانسانيّة) [١] ، كلها قوانين طبيعية .

لقد كان الطّالب يتحدّث بحماس شديد عند شرح وتوضيح هذه المسائل ، وبدا أنّه يتصوّر أن هذه القضايا تؤيد وجهة نظره بصدد البحث عن وجود الله ، وبعد أن شرح بعض المسائل الفضائيّة الدّقيقة والحسّاسة من قبيل المواد الدّاخلة في صنع البسة روّاد الفضاء والتغلّب على العوائق أضاف قائلاً : هذه هي القوانين الطّبيعية ، وهذه هي القوانين العامّة التي يستفيد منها الانسان مختاراً على حدّ قولك ...

النّشأة :

وأخيراً قاطعته بقولي : هل لي أن أسألك سؤالاً آخر ؟

الطّالب ـ أرجوك ، تفضل .

ـ قل لي ، هل ان كل هذه القوانين والأنظمة البسيطة والمعقدة والعلائق الموجودة بينها والتي تعبر عنها بالقوانين الطبيعية ، كل هذه التفاعلات

← الى جانب البروتونات، وتغير الالكترونات مكانها ملايين المرات في اللحظة الواحدة ، أي تدور حول المركز بسرعة بحسب عدد واختلاف الدوائر .

إن متوسط قطر النواة هو عشر المليون مليمتر . والمسافة بين مركز النواة والالكترونات المحيطة بها هي كالمسافة بين الشمس وأبعد سيارات هذه المنظومة .

ويتناسب دائماً عدد النيوترونات في النّواة مع اختلاف وزن النّواة ، كما ويتساوى عدد البروتونات مع عدد الالكترونات في الخارج .

١) للمزيد من الاطلاع راجع الكتب المتعلقة بهذا الموضوع .

الحاصلة في عالم الخلقة ، قد وجدت من تلقاء نفسها ؟

وهل هي الصّدفة وحدها التي أوجدت هذا العالم المترامي الأطراف بما فيه من قوانين ونواميس ونظام وحساب ، أم أن له منبعاً آخر ؟

وهل حصلت هذه الصّدفة عبثاً وبلا سبب أم أن هناك سبباً ما ؟ والصدّفة ـ بالأساس ـ يجب أن تحدث بين شيئين أو عدد من الأشياء ، تُرىٰ أين كانت هذه الأشياء التي حدثت بالصدّفة ، وكيف جاءت الىٰ الوجود ؟

تشويش :

الطّالب ـ أخذ يضحك بصوت عال ، وقال : كان من المقرّر أن تسأل سؤالاً واحداً ، واذا بك سألتَ سبعة أو ثمانية أسئلة ، ولو لم أضحك لاستمرّت أسئلتك الىٰ أن أغرق فيها .. بالمناسبة تذكرت .. قال لي أحد الأصدقاء : عندما تناقش هؤلاء السّادة العلماء والمعممين ، تراهم يقفزون من غصن الىٰ غصن ، ويثقلون رأسك بالأسئلة والأجوبة المحيّرة دون أن يقنعوك ، ويبدو أنك ـ أيضاً ـ تريدنا أن نتباحث هكذا ؟!

ـ معذرة .. لو دققت في الأسئلة لوجدتها كلّها تصب في موضوع واحد ، وهو في الواقع سؤال واحد طرحته بعدّة أشكال ، إلّا أنه بدىٰ لكم أنه أكثر من سؤال ، ولذا فسأطرحه بالتّدريج لئلا يتيه عليكم الامر . كما أنه لابدّ من الاشارة بشكل عارض الىٰ أن صديقك ذاك قد يكون صادقاً الىٰ حدٍّ ما ولكن ليس كل بحث يدخل فيه المعممون يكون كذلك ، لأنه وطبقاً لأصول الحوار ، إذا كان المعني في البحث صادقاً في بحثه عن الحقيقة والواقع كما هو ، فلابدّله أن يحاور ويناقش بهدوء وتأنٍ ، ويحصل سؤال وجواب الىٰ أن يصل

الىٰ نتيجة ، إلاّ أنّه إذا تعصّب بشكل جاف لأسباب أُخرىٰ بعد أن اتّضحت المسألة وعرف الحقّ ، وأراد أن يوحي بأن الحقّ بجانبه ، فلابدّ والحال هذه من اتّباع طريقة أُخرىٰ معه وإلزامه من كلامه واسكاته . ولكن هذه الطّريقة فيها جانب فني فقط وتُستخدم كما قلنا لمواجهة الذين ينظرون الىٰ الحقائق بعين العناد والعداء ، ولعلّ هذه هي المجادلة التي شاهدها صديقك ، وهي ضرورية في بعض الموارد من أجل الدّفاع عن الحقّ[1] .

☆☆☆

١) ﴿ادع الىٰ سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن...﴾ .
(سورة النحل : الآية ١٢٥)

الصّدفة أم السّببية ؟

عـلىٰ أيّـة حـال ، اسـمح لي الآن أن أُكـرر السّـؤال الأوّل بشـرط أن تدقّق معي أكثر .

الطّالب ـ أرجوكم تفضل .

ـ قل لي هـل أنّ هـذه القـوانـين والأنـظمة الصّـغيرة والكـبيرة والتّـرابـط الموجود بينها والتي تعبّر عنها بالقوانـين الطّـبيعية ، قـد وجـدت مـن تـلقاء نفسها؟

الطّالب ـ استغرق في التفكير برهة ، ومن ثم قال دون أن يكـون قـد ركّـز ذهنه علىٰ نقطة السّؤال الأصلية : بالطّبع أن هـذه القـوانـين مـترابـطة ويـؤثر بعضها بالبعض الآخر ، وأن ظواهر هذا الكون مترابطة ولكل من هذه الظّواهر مئات الأسباب والعلل التي عـرفنا كـثيراً مـنها، ومـا يـزال بـعض مـنها خـافياً علينا ، ومن الممكن ان يتمّ اكتشافها فيما بعد .

ـ أرجو أن توضّح قليلاً .

الطّالب ـ الميكروب مثلاً ، فانه يوجد في ظروف خاصّة ومعينة ويـتكاثر نتيجة لعوامل يذكرها علم الجـراثـيم ، ويـدخل الجسـم عـن طـريق الطّـعام والهواء والجروح في الجـلد ، ويـتزايـد فـي الأجـواء المـناسبة له ويُـمرضُ الانسان .

وترتبط أسباب هذا المرض بجميع العـوامـل التـي تسـاعد عـلىٰ ايـجاد الجرثومة وكيفية تغذية الانسان وتنفسه ومـزاجـه ، مـثلما تـرتبط مكـافحته

بمعرفة المضادات الحيوية والوسائل الطّبية المتطورة عن طريق تناول الدواء أو زرقه . ولاضرب مثالاً آخر عسىٰ أن أستطيع توضيح ما يدور في ذهني بشكل أفضل .

الصدّفة :

ـ أرجوك تفضل .

الطّالب ـ لنفترض الحادثة التي ندعوها بالصدفة . نرىٰ طفلاً وقد صدمته سيارة ولقي حتفه في مكانه ، وعندما نبحث عن الظّروف التي وقعت فيها هذه الحادثة يتبين لنا مثلاً أن سائق السّيارة كان يسير بسرعة كبيرة وقد جرىٰ الطّفل امامه، وعندما نبحث عن سبب السّرعة نلحظ أنها لم تكن زائدة عن الحدّ، لأن سائق السّيارة رأىٰ الطّريق خالياً أمامه وليس لديه وقت كثير للوصول الىٰ مقرّ عمله فأسرع ، وعندما نبحث عن السّبب الذي دفع الطّفل الىٰ الجري نكتشف أنّه كان قد شاكس والده ولما أراد والده أن يعاقبته ، فرّ من البيت هارباً الىٰ الخارج وإذا به أمام السّيارة .

وهكذا نكون قد تقدّمنا درجة (في التّحقيق) بمعرفة أن سبب قلّة الوقت لدىٰ سائق السّيارة أو مشاكسة الطّفل ترتبط ـ أيضاً ـ بأسباب أخرىٰ ، والتي ترتبط بدورها بعلل أُخرىٰ وهكذا، بحيث أنّه لو ارتفع أحد هذه الاسباب في أحد الطّرفين ، أو أنه حصل بشكل آخر ، لما وقعت هذه الحادثة أو الاصطدام بهذا الشكل .

فلو لم يشاكس الطّفل والداه أو فعل ذلك قبل هذا الوقت أو بعده قليلاً ،

أو أنه فعل إلّا أن والده لم يقرّر معاقبته ، أو أنّه قرّر لكنه أجّلَ تنفيذه قليلاً، أو نفّذه قبل ذلك أو بعده ، أو أن البيت لم يكن قريباً من الشّارع العام عند حصول المشاكسة من الطّفل وقرار الأب معاقبته ، أو أنّ السّيارة لم تصل في ذلك الوقت ، أو أن واحداً من العوامل المذكورة لم يكن موجوداً لما حصلت هذه الحادثة .

وهكذا بالنّسبة الى سائق السّيارة ، فلو كان قد تحرّك قبل أو بعد ذلك بقليل، أو تحرك ولكن أسرع أو أبطأ قليلاً في الطّريق ، لما حدث هذا الاصطدام بهذا الشّكل وحصل ما حصل .

لقد شرح الطّالب العلائق والرّوابط الموجودة بين الأشياء في العالم باسلوب جميل وبليغ مستفيداً من معلوماته العامّة الدّقيقة في هذا المجال .

كلٌّ مترابط :

ـ حسنٌ جدّاً، فهمت ما قصدت الى حدٍّ ما . قل لي ألا يرتبط كل واحد من الأسباب التي تؤدي الى نشوء الجرائيم في مثالك الأوّل ، بأسباب وعوامل أُخرىٰ ؟ وكذا معرفة الدّواء المؤثر وتطور الطّب الذي جاء في حديثك ، أليس مرتبطاً بمئات الأسباب والعوامل الأُخرىٰ ؟ و ـ أيضاً ـ ألا يعود خطأ الطّفل وقرار الأب بمعاقبته في مثالك الثّاني ، وسرعة وبطء سائق السّيارة لعشرات الأسباب والعوامل الأُخرىٰ ؟

الطّالب ـ أجل ، هو كذلك ، ولابدّ من القول أنّ الكون كلّه ـ تقريباً ـ مرتبط ببعض ، وان جميع هذه الأسباب والعوامل مؤثرة بعضها بالبعض الآخر ، ولكل منها دور .

ـ صحيح، ومع كلّ هذه الإطالة والتّفاصيل والأمثلة، فانّك لم تجب على أصل السّؤال ولعلّك أردت استخدام الأسلوب الذي أشرت إليه فيما سبق لتحرف البحث عن النقطة الأصلية فيه وتضيع الأمر علينا.

الطّالب ـ ضحك وقال: كلا إنني أُريد معرفة الحقيقة، وأنت قلت أن هذه الأساليب تصلح للجدال وليس للبحث العلمي، واذا كان جوابي غير مترابط فأرجو أن تكرر السّؤال، لأنني لم أكن أقصد مثل هذا الشّيء.

ـ يبدو أنّك تخلصت من حالتك العاطفيّة وأخذت تتجه الى البحث المنطقي والاستدلالي، **وقلت** أن الكون كلّه ـ تقريباً ـ مرتبط ببعض، ونحن نقبل هذه المسألة على ما هي عليه، إلّا أن سؤالنا هو هل هذا الكون الواسع الذي يعدّ كلاً واحداً ـ تقريباً ـ وفاعلاً ومتحركاً، والذي يبدو في الوقت ذاته، لترابط أقسامه المختلفة، على شكل معمل عملاق، وكلّ ما فيه من أنظمة دقيقة ومعقدة، هذه الواحدة العلمية والصناعية العظيمة التي نمتلك أنا وأنت فيها مكاناً، حتىٰ أن العلماء الكبار لم يتمكنوا من قياس حدودها[1] المكانية.

وإننا لانعلم في أي زمان بدأت حركة هذا «العالم»، والىٰ أي زمان

---

١) المرصد البالغ وزنه ٢٢٠٠ كيلو غرام، المجهز بمدسات تعمل بالاشعة فوق البنفسجية الذي يدور في مدار دائري الشكل على ارتفاع ٧٧٠ كيلو متر حول الارض، قد زود المنجمين في مركز «ناسا» بمعلومات كثيرة وعجيبة، إذ يجب أن يكون قطر العالم الآن طبقاً لذلك في حدود ٢٠٠ مليون سنة ضوئية ...اي ان العالم خلاف نظرية آينشتاين مفتوح لا أنّه منغلق على نفسه. (كيهان العدد ٧٩١٥ الصفحة ٤).

لود دققنا في ذلك الرّقم مع أخذ سرعة النور البالغة ٣٠٠/٠٠٠ كيلو متر في الثانية بنظر الاعتبار، لاتضحت عظمة عالم المادة.

تستمر [١]، هل وجدت من تلقاء نفسها؟ أم أن هناك منبعاً آخر لها وقوّة أخرىٰ وراءها؟

داخل أو خارج ؟

الطّالب ـ استغرق في التفكير مرّة أخرىٰ ، وبعد لحظات قال : هل يعني هذا وجود منبع وقوّة أُخرىٰ خارج هذا الكون، كانت موجودة قبل ذلك ثم أوجدت الكون ؟!

ـ أن مسألة الدّاخل والخارج ليست مطروحة هنا، وإنّما السّؤال هو هل أن هذه الوحدة العظيمة المتكاملة العاملة التي لايمكن لأذهاننا المحدودة الإحاطة بها من المجرات والمنظومات الشّمسية والشّمس والسّيارات التي تدور حولها، والأرض ، والقمر وجميع الأسباب والعوامل التي تؤثر في نشوء وحياة مئات الأنواع ؛ من جماد، ونبات ، وحيوان ، وانسان ... هل أُوجدت هذه الأشياء كلّها واصبحت بهذا الشكل المنتظم والدّقيق ، وأخذت شكل القوانين العامة الثّابتة ـ بحسب تعبير ـ من تلقاء نفسها ؟ أم أن وراءها قوّة مبدعة وعامل محرّك ؟

---

١) الارض كوكب صغير يقع في مجرة يبلغ عدد النجوم فيها مائة مليارد نجمة. وهذه المجرة العظيمة هي جزء صغير من هذه الكائنات غير المتناهية.

فالبشر على الرغم من التطور العلمي والتكنيكي والقدرة العلمية التي حصل عليها نقطة صغيرة جداً لاترىٰ في عالم الوجود. فهو مازال يجهل الكثير من كوكبه الذي يحتضنه. ولاشك في ان معرفته بالفضاء اللامتناهي قياساً بالمجهولات التي تنتظره لاتستحق الذكر. (الدكتور اميدوار عضو معهد العلوم الفضائية ناسا ـ كيهان ٢٤ آذار ٤٨ العدد ٧٩٢).

وقد صرح القرآن الكريم بذلك بقوله: ﴿...وما أُوتيتم من العلم إلّا قليلا﴾ اسراء/ ٨٥.

الطّالب ـ لقد قلت فيما سبق أنّه تمّ التّعرف على الكثير من أسباب وعوامل تفاعلات هذا العالم، ومن الممكن أن يتمّ التّعرف على العوامل الأُخرىٰ مستقبلاً.

ـ حسنٌ جدّاً، إنّ سؤالنا يقتصر على هذه الأقسام المعروفة الى ان نصل الىٰ العوامل الأخرىٰ. فهل أن الجاذبية والكهرباء والقوانين الحيوية والفسيولوجيّة، قد أُوجدت وتعمل من تلقاء نفسها؟

ومرّة أخرىٰ استغرق الطّالب في التّفكير برهة، ومن ثمّ **قال بإنفعال**: ماذا تقصد؟ إننا لا نرىٰ ولا نعرف شيئاً آخر غير هذه العوامل الطّبيعية وتفاعلاتها وآثارها ونتائجها، وخلاصة الحركات والحوادث النّاتجة عن نفس هذه الحركات والدّوران المنظم.

ـ أجل صحيح، ونحن ـ أيضاً ـ لسنا بحاجة الىٰ شيء آخر الآن، والسّؤال هو هل أُوجدت هذه الحركات والدّوران المنظم من تلقاء نفسها وهي مستمرة؟ وهل ارتبطت بها هذه الحوادث التي تعبّر عنها بأنها نتيجة لهذه الحركات، من تلقاء نفسها؟

الطّالب ـ علىٰ أية حال، نحن لا نرىٰ موجداً أو قوّة خارج هذا العالم، وإنّ ما لا يمكن إنكاره هو وجود عالم المادة، وكذلك الوحدة العلمية والصناعية العظيمة المتكاملة التي تمّ التّعرف علىٰ موادها الأولية كاملة ـ تقريباً ـ، ونعرف أن العالم مركبٌ من هذه العناصر التي تبين عددها الجداول العلمية الخاصة[1]، مع اعداد الأقسام المركزية للبروتونات والنيوترونات والالكترونات المحيطة بها. والمعروف أن اختلاف الاجسام يعود مباشرة

---

١) راجع جدول (ماندليف) عالم الكيمياء الروسي الشهير.

الىٰ قلّة وزيادة هذه المواد، وعدد المدارات التي تدور فيها الالكترونات[١].

لا شيء غير هذا :

ومن ثمّ ذكر أمثلة في الاستدلال علىٰ أن اختلاف الحديد والذّهب والكلور و الصّوديوم مع اليورانيوم والعناصر الاخرىٰ، يعود ـ فقط ـ الىٰ قلّة وزيادة عدد هذه المواد، وسرعتها وبطئها وإلّا فان العالم يتكوّن ـ بالاساس ـ من تكاثف الطّاقة، وإنّ جميع الموجودات قد أوجدت وتكاملت وتفنىٰ في ظل القوانين الطّبيعية الموجودة داخل هذه المواد، والانسان هو الآخر ليس مُستثنىٰ عن هذه القوانين، حيث أُوجِدَ في ظلها ليعيش فترات ما ومن ثمّ يموت ويتحلل بدنه بواسطة هذه العوامل الىٰ أشياء أُخرىٰ[٢]

---

١) نعرف أنّه اذا أزلنا الفواصل بين مركز ومحيط الذرات والنواة بمقدرة فائقة عن الطبيعة، أي ان لملأ الفراغ الموجود داخل تركيب الذّرات من نفسها، ستصبح الكرة الأرضية بمقدار برتقالة متوسطة الحجم وبنفس الوزن الحالي لها.

٢ ـ يحدثنا القرآن الكريم عن لسان الذين يفكرون مثل هذا الطّالب، بقوله: ﴿وقالوا ما هي إلّا حياتنا الدّنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلّا الدّهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلّا يظنون﴾ (سورة الجاثية الآية ٢٤).

العالم الخالد

ـ حسنٌ ، لِمَ لاتجيب على سؤالي هل وجدت هذه العناصر القوانين فيه واخذت تعمل بذاتها ، أم أنها تستند في وجودها وعملها على جهة آخر .

الطّالب ـ عقد حاجباه ، وأخذ يضغط فكره كالذي يبحث عن ضالّة له ، ومن ثمّ قال بانفعال وبصوت خشن : إنني لا أفهم ما تقصدون؟ فكما قلتَ ، لايوجد في الأمر شيء غير العوامل الطّبيعية وما ينتج عنها .

قلتُ له بلين ـ نحن ـ أيضاً ـ لانقول أن في الأمر شيءٌ آخر ، إنني لا أعرف لماذا ترفض أن تخرج من دنياك التي صنعتها لنفسك ، إنّ الهدف من استمرار هذا الحوار هو الاقتراب من الحقيقة والواقع ، فأرجو أن تتجنّب التكرار الذي ليس فيه فائدة سوىٰ ضياع الوقت ، وركّز ذهنك قليلاً وانظر ماهي النّقطة الأساس في السّؤال ؟ وكيف ينبغي الإجابة عليها ؟

ان سؤالنا بالفعل هو عن هذه الأشياء التي تراها ؛ هذه العوامل الطّبيعية ونتائجها ـ بحسب تعبيرك ـ، فهل أُوجدت من تلقاء نفسها، أمْ انّ لها موجد ومبدع ؟ أرجو ان تركّز ذهنك قليلاً علىٰ كلمة الوجود وتجيب .

الطّالب ـ (بدا أنّه انزعج من حدّية التعبير ، وتملّكته حالة عاطفية كالذي يرىٰ شخصيته الفكرية في خطر ، زوال ـ كما يُعبّر ـ جميع السّتائر ونطق بما يكنّه في قلبه . وفي الوقت الذي كان يجاهد من أجل

السّيطرة علىٰ كلماته ، قال : ماذا سيحصل لو قلنا إن هـذا العـالم عـلىٰ مـا هـو عليه عالم أزلي؟ وماذا سيحصل لو قلنا ان هذه الحركات والتّـغيّرات أبـدية ؟ أي ماذا سيحصل لو قلنا إن عملية إنعدام الاشكال بعد إيـجادها ، والتـغيرات والحـركات كـانت وسـتبقىٰ دائـماً ؟ أي مـا الحـاجة الىٰ الله اذا قـلنا أن هـذه التّحولات والتّغيرات في العالم ، وما يأخذ شكل الأرض ، والقمر ، والشّمس ، والنّبات والحيوان ، هو أزلي وسرمدي ، وهـذه الأشكـال ـ أيـضاً ـ مـرتبطة بالعوامل الموجودة في نفس هذه الأشياء ؟

أي ما المانع اذا قلنا أنّ ما نصل إليه في تفسير موجودات العالم مـن مـادة وطاقة وأن ما يتشكل علىٰ هيئتها كان وسيبقىٰ دائماً ، وبالتّالي ما الحـاجة الىٰ الله في هذه الحالة ؟

وما العيب في القول ان ما هو غير مـادة وطـاقة ، وهـو القـانون الذي نـراه دائماً في واحد من هذين الشّكلين ، أزلي وسرمدي أيضاً؟

وأخيراً ، ما هو وجه العيب الباقي اذا قلنا أنّ ما تستند إليـه هـذه الأشكـال المختلفة والذي لانراه خارجاً عـنها ، كـان مـوجوداً دائـماً وسـيبقىٰ الىٰ مـا لا نهاية ؟

لقد كرّر جملة «ماذا سيحصل ، ماذا سيحصل » التي لاتعدو كـونها مسألة واحدة ، الىٰ الحدّ الذي بدأ وكأنه اكتشف الحل النّـاجح ولم يـبق مـعه مكـان للتّساؤل بعد ذلك . وفي النّهاية استخلص كلامه بالقول : ان هذا العـالم الذي تلاحظه ، كان ـ دائماً ـ علىٰ وضعه هذا ، وسوف يبقىٰ هكـذا الىٰ مـا لانـهاية ، وليس لدينا شيء غير ذلك .

أكثر حرية :

ـ قلت له بنفس الأسلوب اللين:

يبدو أنك أصبحت حسّاساً أو أزعجك كلامي ، ولكن على أية حال ، يسرّني انك دافعت عن نفسك الدّفاع الأخير في ظل هذا الاحساس ، وعرضت صورة واضحة عن رؤيتك الى الكون .

والآن ما عليك إلّا أن تسيطر على أعصابك أكثر ، وتتأمل بحرية أكثر ، وتسأل نفسك ما إذا كان البحث قد انتهى ، واجبت على اسئلتنا ، أم لايزال بالإمكان أن نسألك هل ما وصلت إليه في العالم، والذي هو ليس مادة وليس طاقة ، لكن لكلّ منهما مرتبط به مثات الاشكال، وأخيراً الادوات التي يتكون منها بناء الكون، هل وجدت منذ الازل من تلقاء نفسها، أم تمّ إيجادها؟

اذا كان الذي ترتبط به أشكال المادة والطّاقة المختلفة هو بناء الكون نفسها. فالسّؤال يدور حولها، وحول العوامل التي أخرجتها على هيئة الكون . أي هكذا يكون السّؤال : ماذا كانت تلك الأداة الأولية لبناء الكون ، والتي تقول عنها ليس لها شكل ولون ووزن وحجم؟ وهل هي موجودة بنفسها ؟ ولماذا خرجت من حالتها البسيطة والعادية ، لتتحول الى مادة وطاقة ؟ وعندئذ لايمكن القول ان الكون كان منذ الأزل على هذا الوضع وسيبقى كذلك ، لأن ذلك يشبه تماماً أن نسأل ماهي الأدوات التي تمّ بها بناء منظمة

الأمم المتحدة أو بناية مجلس الشّيوخ الايراني أو بيتك الشّخصي ، أو من هو المهندس الذي وضع خريطته ، ومَن الذي بناه ؟ وتقول أنت إنّ هذه الأشياء كانت ومازالت وستبقىٰ علىٰ هذا الوضع ، وليس لصغر وكبر المثال في القانون العلمي أثر .

الطّالب ـ أجل ، لقد فهمت ، إلّا أنّه فيما يخصّ المواد الأولية للكون ، يمكننا القول أنّها قبل أن تكتسب شكلاً وصورة ليست حادثة، بل نعتبرها أزلية أيضاً ، ونقول على الرغم من أن تلك المواد الاولية ليس لها أشكال معينة، فإننا لانستطيع أن رؤيتها دون أن تكون لها أشكال ، إلّا إننا نقول بشأنها أنّها كانت موجودة منذ الأزل وستبقىٰ أزلية ، وحتىٰ بعد نهاية هذا الكون المترامي الاطراف لاتنعدم أبداً، وسيكون لها أشكال عامة أخرىٰ مازال العلم قاصراً عن التّوصل إليها .

أما بشأن العوامل التي أدت الىٰ أن تتحوّل هذه البساطة الىٰ مادة وطاقة وتظهر كلّ منها بمئات الأشكال ، وبالطّبع نعرف أنه لايمكن تحريك قطعة من الحجر من مكان الىٰ آخر دون طاقة ، فكيف بتلك المواد الأساسية وتحويلها الىٰ معادن ، ونباتات ، وحيوانات ؟ يمكن القول بأن هذه الطّاقة موجودة داخل نفس تلك المواد الاولية وهي منها ، وبالنّتيجة يجب القول ـ أيضاً ـ أنّه لايوجد شيء آخر غير هذه المواد الاولية والحركات التي تنبع من داخلها لتوجد الأشكال ، لكي نعتبره الموجد ، ومحرك والعامل ألاساسي وروح الكون .

الجديد :

ـ حسـنٌ جـداً، يبدو اننا خطونا خطوة الىٰ الامام، نسأل عن تلك المواد الأساسية والطاقة الدّاخلية، فنقول هل لديها وجود بنفسها، وتهب الصورة والشّكل من نفسها، وتوجد المادة والطّاقة، أم أنّها تأخذ الوجود من غيرها وتهبه شكلاً ؟

الطّالب ـ نفذ صبره وقال بنبرة حادة: لقد كررت سؤالك مرّة أُخرىٰ ـ أيضاً ـ، ومن الواضح أنه ليس لديك شيء جديد تُضيفه، ونحن ـ أيضاً ـ يجب أن نكرر الجواب ومن الأفضل أن نقطع الحوار، لأنّك لم تدلّنا خلال كلامك كلّه علىٰ شيء يمكننا أن ندعوه إلاله، غير الكون وتحولاته المختلفة التي حللتها أنا. قال هذه العبارات، وسحب نفسه جانباً، وأسند ظهره الىٰ الحائط كالتائه المنهك من السّير في الأزقة المتعرجة. وبدأ أنه لايرغب بمواصلة الحديث.

ـ وبعد مرور فترة وجيزة علىٰ ذلك حيث أخذ الطّالب يسترد حالته الطّبيعة شيئاً فشيئاً، قلت: أجل فلأننا اقتربنا من النّقطة المركزية للبحث، وأنت أيضاً ـ حيث يجب عليك أن تركز أكثر هنا، لا تعيد ذكر الجواب على السّؤال الأساس فيحصل التكرار، وتتصور أنه لا يوجود في الأمر جديد غير الذي تقوله.

في حين أن الجديد هو عدم امتلاكك الجواب، ولوصولك الىٰ طريق مسدود في تحليل الكون وتهربك امام السّؤال.

فلو أنك اذعنت لحقيقة العالم لرأيت أن هناك ما هو جديد في الأمر. واذا اِعترفت بأن هذا العالم بوضعه الحالي ـ حسب قولك ـ يستند الىٰ حقيقة

تتمتع بالثّبات والاستقلال، عند ذاك يتضح جديدنا. وبالتّالي اذا قلت بأن الذي تستند اليه جميع مواد وطاقات هذا العالم، والذي هو ليس بمادة ولا طاقة، وقد كان ـ كما تقول ـ موجوداً منذ الأزل ولا يزول، أي إنه اكتسب وجوده من ذات وجوده ويتمتع بالقدرة على الابداع والخلق، نكون قد اقتربنا كثيراً.

إذا أجبت على سؤالنا حول الشيء الذي ليس له لون وشكل ويعد مصدراً لجميع الألوان والاشكال، وقلت أنه كان منذ الأزل ولا يزول وأن هذه العوامل والاشكال منه وفيه؟، تكون المسألة قد إنتهت.

إننا ندعو ـ بالفعل ـ ذلك الشيء الأزلي، الذي لا لون له ولا شكل ولا وزن ولا حجم «الله»، الىٰ أن نصل الىٰ الحقائق الأخرىٰ مثل العلم، والارادة، والحياة، والقدرة التي اذا عرفنا أنها نابعة من نفس المصدر نكون قد توصلنا الىٰ أنّه هو الله الذي نقول به نحن ويقول به الاسلام.

هل يوجد الله تعالى في عالم الخلق؟!

الطّالب ـ تلعثم بشدّة، وقال بلهجة ممزوجة بالتّعجب والقلق: ـ حقّاً ـ ما هذا الذي تقوله بعد كلّ هذا الحوار ؟!

ليس لدينا اعتراض حول اصل وجود وتحقق وحقيقة عالم المادة والدّنيا المحسوسة والنّظام والتّرتيب والعلائق الموجودة فيها، إلّا إننا نقول أنّه لا يوجد في البين شيء آخر غير هذه المواد وخواصها، لكي ندعوه الإلٰه والمؤثر، خلافاً لإصرارك أنت على وجود حقيقة أُخرىٰ تُدعىٰ الأله والخالق والوهاب.

ـ كان من المقرر أن لا تنزعج وان نواصل حوارنا بهدوء تام. أنت تعلم أن في النّقاشات العلميّة، وخصوصاً في القضايا العقائدية، يصل الحديث، شئنا أم أبينا، الىٰ نقطة حساسة جداً لا تنسجم مع طريقة تفكير وعقيدة أحد الطّرفين، واذا انزعجنا عند هذه النقطة، وأراد كلّ منّا أن يفرض رأيه الشّخصي علىٰ الآخر لم يعد الأمر نقاشاً علمياً، وإنّما يتحول الىٰ جدال عقيم، أو بعبارة أدق الىٰ ضياع للوقت.

إهدأ قليلاً وتسلط علىٰ أعصابك ولا تنزعج ،أنّ العلماء في بحوثهم ربّما يصلون الى طرق مغلقة وفي بعض الاحيان يكسرون السدود المنيعة ويخطون خطوة بسيطة وكل ذلك على أثر العمل المتواصل الدؤوب.

وأنت ـ أيضاً ـ طالب علم، ولابدّ لك من الاقتداء بالعلماء كي تحقق في المستقبل الانتصارات إن شاء الله.

الطّالب ـ أعتذر عن ذلك، ولعلكم تعطيني بعض الحقّ إذا أخذت محيط عملي بنظر الاعتبار، ولأنني لم أمارس منذ أشهر مثل هذه النّقاشات المعقدة وبالأساليب الفلسفية الشّرقية، لذا فمن الطّبيعي أن لا أهضم النّقاش بالسّرعة التي تتوقّعها، إلّا إنني سأبذل غاية جهدي للسيطرة على أعصابي من أجل أن نواصل النقاش حتىٰ الوصول الىٰ النّتيجة النّهائية، لأنني اعتقد أن الحوار مفيد في كلّ الاحوال.

الله في العالم

ـ أجل، أننا حيث نصرّ علىٰ وجود قوّة أُخرىٰ، لانريد الخروج من هذا العالم ورؤية تلك القوّة بجانب العالم ومنفصلة عن الحقائق، بل وحتىٰ لا نريد أن نقول توجد قوّة بالمعنىٰ الذي تتصوره أنت تُدعىٰ الله، لأن إله الكون ليس طاقة مثلما هو ليس مادة، وهو ليس بطاقة ولا مادة وحسب، بل أنه ليس أي شيء من أشياء العالم هذا، وفي الوقت ذاته ليس خارجاً عن هذا العالم وحقائقه[1] وكما قلت أنت في تصويرك لأدوات بناء الكون، ليس بمادة ولا طاقة، وبالطّبع لا يُشبّه بأي من الوان وأشكال العالم.

الطّالب ـ عجيب؟! أيوجد ولا يوجد، هذا كلام غير صحيح، بل هو جمع بين النّقيضين كما تقولون أنتم. أنت تقول أنه ليس مادة ولا طاقة، ولا أي شيء، وفي الوقت ذاته ليس خارجاً عن هذا العالم، ومن الصعب عليَّ جداً

---

١) عن علي عليه السلام: ... مع كل شيء لا بمقارنة، وغير كل شيء لا بمزايلة (نهج البلاغة: الخطبة ١).

أن أفهم المسألة على هذه الحال، أنني كنت أقول أن المواد الأولية للعالم التي لا تشبه أي شيء من الاشياء، قد أصبحت على هيئة العالم الحالي بواسطة عواملها الداخلية الذّاتية، وإن هذه الأشكال والحركات هي منها، وبالتّالي ستبقى بلا شكل ولون. وهذه المسألة ليست جمع بين وجود ولا وجود.

ـ معك حقّ، سيسهل البحث ويخف شيئاً فشيئاً إذا ما ركّزت ذهنك عليه أكثر. نحن نقول أنه يمكن معرفة تلك الحقيقة، ومُبدء الوجود، وروح العالم، بمعرفة هذا العالم، اذ بالتّدقيق بكيفية حركات الموجودات وتفاعلاتها، يمكن الاقتراب منها.

وستكتشف بالتّدريج أن جميع هذه التّفاعلات تجري في ظل تلك الحقيقة الثّابتة والوجود الاصيل والكمال المطلق. وبعبارة أُخرى أن الوجود كلّه يتحرك في ظلّ الحقيقة المطلقة.

نحن نقول إنّ هذا النّظام بعلائقه الدّقيقة هذه التي أشرت الى قسم منها في الأرض وفي الموجودات الأرضية والسّماوية، لا يستند الى نفسه.

نقول أن هذه الحركة المستمرة، وهذه العلائق المنظمة، تهدينا الى الاعتقاد بوجود أصل ثابت وحقيقة أصيلة محركة ومدبرة للكون، نعبّر عنها بروح العالم، وروح الخلق، وعمق الوجود، والله.

أو بحسب تعبيرك أنت هو تلك الحقيقة التي ليس لها شكل قط وتستند إليها جميع الأشكال.. تلك الحقيقة التي ليس لها أوّل وآخر، لكن جميع الاشياء التي لها أوّل وآخر تقع في ظلها. وهي نفس أصل التّحقق الذي نعبر عنه بحقيقة الوجود، وبالتّالي هو ذاك الذي ليس بمقدور أي من الألفاظ

والمفاهيم أن تدلّ عليه بوضوح[١]، ولكننا عن طريق وجود هذه الاصالة والتّحقق والحقائق التي نلحظها، ندرك وجوده، وبالطّبع هو ليس خارج العالم، وندعوه الله تعالىٰ[٢].

ومن هنا نقول أن قبول التّحقق في العالم يساوي قبول الله، وانكار الله يساوي إنكار أصل التّحقق والوجود.

غير ممكن

وبالطّبع لا يفوتنا أن نشير الىٰ هذه النّكتة ـ أيضاً ـ وهي أنه لما لم يكن بامكان الانسان أن يحيط بكلّ ما رآه وعرفه لحدّ الآن، من عالم الباكتريات والفايروسات وحتىٰ عالم المجرات وأسرارها وعلاقاتها.

ولما لم يكن بامكانه أن يدرك كلّ شيء كما هو بشكل دقيق وكامل باعتباره جزءاً ـ صغيراً ـ من هذا العالم المترامي الواسع المطلق.

فلابدّ من القول بأنّه لا يمكن معرفة الله وادراك كنه الوجود كما هو عليه، إلّا أن ذلك لا يعني أنه ليس هناك سبيل للتعرف علىٰ أصل الوجود ووجود الخالق، من حيث أن هناك الكثير من الاشياء التي لا يمكن معرفتها عن طريق الحواس الظّاهرية، ولكن يمكن إدراك وجودها من آثارها ونتائجها.

---

١) يقول سوروكين: لا يمكن توصيف كمال الوجود وكمال الحقيقة بواسطة أي من المفردات والالفاظ والكنايات والاشارات المتداولة اليوم في المعاجم العلمية، ومحيط لا حد له ولا يمكن التعرّف إلاّ انه اناء تصعب الاحاطة إلا بجزء يسير من محتوياته عن طريق علوم النظام المادي. جزء يسير منه.

وعبارة (اريكه نا) الشهيرة اي أن الله تعالىٰ نفسه لا يعرف اي شيء هو. لأن الله ليس شيئاً، يوضح لنا قصور كلماتنا عن بلوغ وصف كمال الوجود. (الله والكعبة ص ٥٨ و ٥٩).

٢) راجع فصل «الله في القرآن والأحاديث».

ومن هنا نقول أنّه يمكن إدراك أصل الوجود ومحركه ومدبر شؤونه نوعاً مادون الوقوف على كنهه، من خلال معرفة وادراك عالم الموجودات فقط.

كما أنّه يجب الأخذ بنظر الاعتبار هذه الحقيقة، وهي أن هذا النّظام الذي يسود الخلقة، لايمكن أن يكون قد نبع من أعماق المادة التي ليس فيها شعور أو ادراك.

ولايمكن لهذه الحياة التي نراها في الموجودات الحيّة بدرجات مختلفة ـ من نبات وحيوان وانسان ـ، قد جاءت من المادة الميتة.

وإنّ هذا العلم والإرادة التي نشاهدهما في الانسان، لايمكن أن يكونا قد نتجا من المادة العمياء عديمة الإرادة.

وبالتّالي، كما أنّ أصل وجود شيء ما في هذا العالم، يدلّنا على وجود التّحقق والاصالة والحقيقة المحضة المجردة عن الشكل واللون، فكذلك كمال موجود ما يدلّنا على أصالة جذوره، ومن هنا نعتبر مبدء الكون مصدر ومنبع جميع الكمالات[1].

النّقاش الحوزوي :

الطّالب ـ عفواً، أخذ نقاشكم شيئاً فشيئاً يأخذ طابعاً حوزوياً

---

١) عن الباقر عليه السلام : وهل تُسمي عالماً قادراً إلا لأنه وهب العلم للعلماء، والقدرة للقادرين، فكل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مصنوع مثلكم مردود اليكم، ولعل النمل الصغار تتوهم ان لله تعالى زبانتين كالها، فانها تتصور ان عدمها نقص عمّن لايكون له...

وعن الشاعر :

الحمد لله بقدر اللّه ... لا قدر وسع العبد ذي التناهي

الحمد لله الذي من أنكره ... فانما أنكر ما تصوره

بحتاً، حيث أنني لم أعد أفهم جيداً هذه المفاهيم والألفاظ والمعاني والجملات التي تستخدمونها، فكيف ببحثنا وادراك صحيحه من سقيمه ؟!. لذا أرجو ان توضّح ماذا يعني (أصل التّحقق)، و (كمال التّحقق)، وما الفرق بينهما ؟ وكيف يمكننا ـ بالأساس ـ أن نصدق بوجود شيء ما عن غير طريق الحس والتّجربة ؟

بالطّبع أنّه لايمكن رؤية كيفية النّواة، أو بعض الأشعّات والطاقة بالعين المجردة، إلاّ أننا ندرك وجودها وكيفيتها عن طريق التّجربة ومعرفة آثارها بواسطة الأجهزة العلمية. ولكن كيف يمكن معرفة وتصديق شيء لايمكن لمسه بأي من حواسنا، ولا يمكن مشاهدة أثر له في أي من الأجهزة العلميّة؟!

كما أنّ مسألة الحياة أو العلم والإرادة التي ذكرتها كمثال، هي بالضّبط مثل خاصية المغناطيس التي توجد في المعدن في ظروف معينة[1]، وليست بذات أهمية كبيرة كي ترتبط ببحث معرفة المبدء.

ـ أجل، حسناً، يبدو أنه تقصير لأحد منّا، لأننا لانملك في بحثنا العلمي المعقد هذا ألفاظ وكلمات أخرىٰ لنتمكن بواسطتها من تبيين المفاهيم والمعاني بشكل أكثر وضوحاً، ولذا نكرّر إضطراراً هذه الألفاظ التي نعتقد أنها أبلغ. إلّا أنني أعتقد أن من الأفضل تناول جواب السؤال الثّاني قبل

---

١) لو جعلنا سلكاً معدنيا علىٰ شكل حلزون (حلقات) واجرينا فيه طاقة كهربائية فستتولد فيه طاقة مغناطيسية، اي ان ذرات السلك المبعثرة تأخذ شكلاً منظماً بتأثير التيار الكهربائي فيتولد قطبان مغناطيسيان يستعملان في صنع الجرس (المنبه) او مختلف المولدات.

الأوّل، حيث سيساعد ذلك ـ أيضاً ـ بطبيعة الحال في توضيح مفاهيم ومعاني الألفاظ المذكورة.

الطّالب ـ أرجوك تفضل لا فرق عندي.

الحس والتّجربة لا غير :

ـ هل السّبيل الىٰ إدراك ومعرفة العالم هو الاحساس والتّجربة ـ فقط ـ وليس هناك سبيل آخر ؟ وهل إذا لم نتمكن من لمس شيء بأي من حواسنا، يجب أن نقول أنّه لايوجد ؟

وهل ـ حقّاً ـ أن الوجود لايمكن أن يكون مورداً لقبولنا مالم نشعر به بشكل مباشر أو نخضعه لتجاربنا العلمية والمختبرية ؟ أم يمكن إدراك ومعرفة شيء ما عن طريق آثاره وخواصه حتّىٰ لو كان غير محسوس ملموس؟

وعلىٰ سبيل المثال، هل للعلم وجود أم لا ؟ وهل توجد لدينا حقيقة تُدعىٰ العلم أم لا ؟ واذا كانت توجد، فهل يمكن لمسها والاحساس بها ؟

الطّالب ـ بالطّبع أن للعلم وجوداً، إلاّ أن حقيقته ـ كما قلت ـ ليست شيئاً آخر غير التفاعلات الفيزياوية علىٰ صفحة الدماغ والجهاز العصبي، ولهذا نلاحظ ان الأدمغة تختلف في قوّة الإدراك واستقبال المعلومات من واحد الىٰ آخر، وحتىٰ أن المواد التي تستهلكها أدمغة المفكرين أكثر من الآخرين، حيث يتمّ تقديرها مع خصوصياتها بوسائل القياس الخاصّة.

ـ هل أفهم من كلامك أن دماغ العالِم يختلف قبل أن يكتسب العلوم

والأفكار عنه بعد أن يصبح عالماً من حيث الوزن أو الحجم ؟!

فنحن نقبل ان التفكير عمل حياتي ، والانسان الحيّ يمكنه أن يفكر ويتعلم بعض المسائل بالاستفادة من جهازه العقلي والعصبي الظريف والدقيق [١].

وكذلك نعرف ان الجهاز الفكري عند العمل والنشاط بحاجة الىٰ استهلاك مواد لازمة كبقية أقسام الجسم ، ويوجد هناك تناسب بين العمل واستهلاك الطاقة دائماً.

ونعترف بوجود الاختلاف حتىٰ في الأدمغة من حيث الحجم وعدد

---

١) المخ الذي هو اعقد والطف اعضاء البدن يتكون من نصفي كرة، حيث يبلغ متوسط وزنه (١١٦٠غم)، وهذين النصفين الكرويين يرتبطان مع بعض عن طريق ثلاثة جسور متكونة من مادة بيضاء ويوجد بين هذين النصفين اخدود يفصلها عن بعضهما بصورة كاملة من الخارج. وهناك ثلاثة اوجه يمكن تشخيصها في كل واحد من هذين النصفين، كما ان هناك اخاديد عميقة وقليلة العمق في السطوح المجانبة لنصفي الكرة تلك، وهي عبارة عن اخاديد «رولاند» في القسم العلوي، و«سيلويوي» في «الشقيقة» أي مابين العين والاذن، وهناك عمود خلف السطح السفلي فوق عظام غطاء الجمجمة حيث أنّهما متقابلان لبعضهما.

والمخ يتكون من مادة رمادية واخرىٰ بيضاء. والمادة الرمادية توجه فيه علىٰ نحوين: أوّلهما قشرة رمادية سمكها بين ٢ ـ ٣ ملم وتغطي كل سطح المخ، وهي مركبة من ثلاث طبقات، خلايا رابطة واخرىٰ هرمية وثالثة مختلفة الشكل، حيث تنظم قسماً من عمل الفكر بدخول الاوتار العصبية وارتباطها بالخلايا الهرمية الصغيرة والكبيرة في هذه القشرة. القسم الثاني خلايا رمادية داخل المخ حيث تشتمل علىٰ التالاموس والاجسام المخططة. والتالاموس يبلغ حجمه ١٢ سم٣ تقريباً ويستقر خلف الاجسام المخططة. أمّا مادة المخ البيضاء فهي مركبة من أوتار عصبية علىٰ شكل قضبان، حيث تشكل اتصال مختلف مناطق المادة الرمادية.

الاوتار الحسية تربط المراكز السفلىٰ بقشرة المخ الرمادية، والاوتار الحركية تربط قشرة المخ الرمادية بالمراكز السفلىٰ.

وللخلايا ثلاث حالات: التحرك، الهداية الانتقال. والقسم الاعظم من نشاطات المخ التي تشكل مركز الشعور، الادراك، الارادة والذاكرة والحافظة يتمّ عن طريقها.

الخلايا، وقد كان يوجد في الماضي، وما يزال، أشخاص متميزون من هذه الناحية الى درجة النبوغ.

إلّا ان نقاشنا وسؤالنا يدور حول أصل العلم الذي تعبّر عنه أنت بالتفاعلات الفيزياوية.

وسؤالنا هو هل يمكن رؤية العلم بعد حدوثه عن طريق هذه التفاعلات من خلال الخلايا الدماغية؟ وهل يؤثر وجوده في وزن أو حجم الدماغ؟

الطّالب ـ أجل، فلاطلاعنا على العلم والمعرفة حالة متعلقة بأقسام خاصّة من الدّماغ يمكن ملاحظتها عن حصول تلك الافعال وردودها. أي يتمّ الاتصال بالمراكز العصبية وبالتالي بالمخ من خلال العين والاذن وباقي الحواس عن طريق اعصابها[1] وهكذا تحصل المعرفة.

لكن ـ بالطّبع ـ ليس هناك شيء خارج عن نطاق خلايا المخ يمكن لمسه بحواسنا، ونعلم أنّه لو غابت احدى هذه الخلايا أو الاعصاب المرتبطة بها أو حصل فيها خلل لاستحال تحصيل العلم والمعرفة. وباختصار فلا يمكننا أبداً الوقوف على العلم بعيداً عن المادة والجهاز الفكري.

ـ نحن أيضاً نوافق على عدم وجود العلم مع غياب الدماغ وفي غير الانسان، لكن هل العلم بنفسه أمر مادي لنتمكن من لمسه او نفيه؟!

نحن نقبل أيضاً ان الانسان لايمكنه الحصول على العلم بدون المخ والجهاز العصبي السّالم[2]، لكن العلم الذي يحصل في هذه الظروف هل

---

١) سلسة الاعصاب هي من ادق والطف اعضاء البدن بعد المخ.

٢) سلسلة الاعصاب والجهاز العصبي على قسمين: الاعصاب النباتية والاعصاب الحسية النخاعية. الاعصاب النباتية على قسمين: سمباتيك وباراسباتيك. اعصاب السمباتيك ٣٣ زوجاً حيث ←

يؤثر في وزن أو حجم المخ وهل يزيد في عدد خلاياه.

الطّالب ـ بالطّبع كلا، إلّا أن ذلك لا يعني ان نقبل وجود شيء ما دون تفحص. فالعلم هو هذه الكيفية الخاصّة التي نشهد آثارها في وضع الانسان.

ـ نحن ـ أيضاً ـ لم نكن نريد أن نقول يجب القبول بوجود شيء ما دون تفحص، وإنّما كان المقصود من المثال هو ان العلم من الحقائق التي ليس لها وزن أو حجم، ولا يمكن تقسيمه. فهو ليس بمادة وليس قابلاً للمس لكنه موجود، ونستنتج وجوده عن طريق آثاره وخواصه الملموسة والمحسوسة.

ونحن نسعى الوصول الى هذه النّتيجة، وهي أن لانقول: لايمكننا القبول بوجود لا نستطيع الاحساس به مباشرة.

كما أن مسألة أصل الحياة ونفس الإرادة ـ أيضاً ـ هي بالضبط مثل موضوع العلم الذي تُشاهد آثاره في ظروف معينة، حيث نشاهد آثارهما ـ فقط ـ على صفحات المادة المنقوش عليها الحياة[1] والإرادة، ولكن أصل وجودهما

← تستقر على اطراف الفقرات. وأعصاب الباراسماتيك فروع من الاعصاب المخية والنخاعية، حيث تدخل مع اعصاب السمباتيك الى بعض الاعضاء المهمة كالقلب وكالرئة (وتعمل بعكسها تماماً. فاعصاب السمباتيك تزيد من ضربات القلب مثلاً في حين ان اعصاب الباراسماتيك تقلل من تلك الضربات. او ان الاولى توسع من قرنية العين في حين أن الثانية تضيقها.

الاعصاب المخية النخاعية تنقسم الى قسمين: نخاعي ومخي. فالنخاعي ٣١ زوجاً. حيث تربط النخاع بكل اجزاء البدن، والمخي ١٢ زوج، حيث تربط المخ بكل اجزاء البدن. فزوج يتعلق بالشم، واخير بالرؤية، وثالث لحركة العين المشتركة، واخر الزوج الاثنيعشر الذي يدير الحركات الانعكاسية الكبيرة للعين وكذلك عصب اللسان الثلاثي، حركات عضلات العين الخارجية، والوجه والاذن حتى تصل الى زوج واحد. لعصب نيوموكا الذي يشارك أهم أعصاب المخ، والذي يدير القلب والرئة والمعدة وسائر أجهزة التغذية:

١) نعلم أن أبسط مراحل الحياة يمكن مشاهدتها في الخلية، حيث أنها تتركب من ثلاثة اجزاء: النواة وغطاء يدعى السايتوبلازم وغطاء اخر يدعى الغشاء. ولو اننا جمعنا بين تلك التراكيب بنفس ←

ليس بمادة ، ولا يمكن التعرف عليهما إلّا عن طريق الاهتداء الى آثارهما وخواصهما.

وبهذا لايمكن إدراك روح الكون وأصل التّحقق ، وروح الوجود بشكل معين ، ولكن يسهل هذا الإدراك عن طريق معرفة الآثار والخواص ، أي معرفة أنواع الموجودات.

الوجود المطلق،كمال الوجود :

ـ والآن لنأتي على توضيح الألفاظ التي قلت أنّها صعبة على الفهم ، لنرىٰ ما المراد من أصل الوجود وحقيقة المطلق ؟ وما المقصود من كماله ؟

الطّالب ـ أرجوك تفضل.

ـ تصور عدداً من الموجودات ؛ الانسان ، والنبات ، والجماد ، علىٰ سبيل المثال ، ستلاحظ أنّ ثلاثتها موجودة ، ولكن في الوقت ذاته هي ثلاثة أشياء منفصلة ومتميّزة عن بعضها، وبعبارة أُخرىٰ ان الصورة التي تحملها في ذهنك عنها واحدة ، إلّا أن تصورك عن عناوين الانسان والنبات والجماد ثلاثة ، أي إنّك تشعر بوضوح أنّ هذه ثلاث موجودة وأن مفهوم ومعنىٰ الوجود يدلّ على إمتلاكها لهذه الحقيقة في عالم ما بعد التّصور.

← النسب في المختبر لما ظهرت الحياة. ولما تعدّت هذه الجهود أكثر من تقليد الاقسام الخليّة الحيّة، وذلك بربط قسمين من خليتين حيتين للحفاظ علىٰ بقاء الحياة ومواصلة نشاطها. أمّا من المادة التي لا حياة فيها رغم كل الحسابات الدقيقة بنفس حجم الاحياء فلا تظهر الحياة. ومن اسرار الخلقة هي هذه الرطوبة الخاصة التي تشكل مادة البلازما.

واذا وضعنا عدداً آخر من الموجودات الى جانب هذه الموجودات سنشعر بنفس الاحساس ـ أيضاً ـ، وإذا واصلنا هذه العملية لسوف نلاحظ أن العالم كلّه من أقصاه الى أقصاه شيء واحد من جهة مفهوم الوجود، ومختلف من جهة العناوين ؛ كأن نقول أرض، سماء، قمر، نجوم و .... ونستنتج بواسطة المفهوم ان جميع هذه الأشياء ممتعة بالوجود في ظلّ هذه الحقيقة.

أي أنّ أصل الوجود هو حقيقة ثابتة تعيش في ظلّها الموجودات.

المراد من الحقيقة المطلقة هو أنّك عندما تذعن بأنك موجود ؛ أنا موجود، والسماء والأرض موجودتان، فان هذا الاذعان يعني وجود والحقيقة المطلقة، لأن التغييرات والتحولات في الأشكال تحصل ـ فقط ـ في الموجودات، وليس في أصل الوجود، حيث لا شكل لأصل الوجود في كل الأحوال.

وإذا ما سلمت بأنكَ وأنا وبقية الموجودات لم تكن في يوم ما شيئاً مذكوراً، ونحن موجودون اليوم وسوف لانكون غداً، وفي الوقت ذاته أن الاشكال والصور هي وحدها التي تتداخل فيما بينها، وكل منها يتغير ويتبدل باستمرار، فان ذلك يساوي التسليم بثبات أصل الوجود، وتغيّر وتبدّل الموجودات التي تعيش في ظله.

وهذه هي النّتيجة النّهائية للبحث، حيث نتمكن بنظرتنا للكون ان ندرك الرّوح القيوميّة للعالم في وضع ثابت أزلي سرمدي.

ويمكن القول، بحسب الاصطلاح الفني واللغة العلميّة، أن كثرة أو وحدة المفاهيم، التي هي السبيل الوحيد للارتباط مع العالم الخارجي

والواقعي، تدلّ علىٰ الكثرة أو الوحدة الخارجة عن الفكر، وأن مفهوم الوجود في العُشب والجماد والنبات واحد، أي أنّ هناك في عالم الواقع خارج الأفكار حقيقة تُدعىٰ الوجود، سواء كنّا أم لم نكن، فكّرنا أم لم نفكّر، فالخارج هو كما هو بغض النظر عن كيفية تصورنا، مثلما أن عناوين ومفاهيم العُشب، والانسان، والنبات متعددة، وواقعها في العالم الخارج عن الفكر قد تحقق في ظل الوجود ولها آثارها، أي أن كل واحد منها يُسمىٰ انساناً أو عشباً حينما يكون لها واقع ووجود، وإلّا فبدون الوجود تنحصر في عالم المفهوم والتصور فقط حيث لا أثر لها في الانسانية أو النّباتية[1].

فعندما نرىٰ الجمادات، والأعشاب، والانسان في تغيّر وتبدّل مستمرين، لكن نلحظ وجوداً علىٰ أية حال لايتغير فيه غير الشكل. نقول: أن أصل الوجود حقيقة عامة ومطلقة؛ جذرُها أصيل وثابت وأزلي وسرمدي، وأما الموجودات فتنعدم في كل لحظة وتتخذ أشكالاً وصوراً أخرىٰ.

فهو واهب الصور، أي واهب الأشكال والصّور والحقائق، أو بعبارة أصح انّه واهب المعاني لهذه الصور، حيث لو قُطع هذا الفيض الدّائم والفضل المستمر المتصل لحظة واحدة لما بقيت هناك حقائق في البين.

والمراد من الحقيقة المطلقة هو الوجود الموجود خارج أفكارنا دون أن يكون له شكل أو لون. ويُعد (هو) مصدر الاشكال والألوان. ونحن نستطيع أن ندركه ونهتدي إليه بواسطة التصور والمفهوم، وادراك وجود ذواتنا

---

١) واضح ان تبلور هذه العناوين في الفكر يحصل كذلك في ظل الوجود. إلّاان الوجود الفكري والذهني يقع في مرتبة أضعف، حيث تكون الآثار المتعلقة به قابلة للتنظيم، ويُفكك في العقل الحيثية الوجودية، والماهوية، وتُلاحظ العناوين والماهيات في غفلة من الحيثية الوجودية.

وذوات الموجودات الأخرىٰ.

الطّالب ـ لو سمحت أسأل سؤالاً عرضياً.

ـ عفواً تفضل.

لامجال للكذب:

الطّالب ـ لماذا تستخدم كلمة الحقيقة للتعبير عن العالم الخارج عن التصور؟ أوليس لنفس المفاهيم والتصورات حقيقة وواقعية؟

ـ أجل، فالتصورات هي الأخرىٰ حقيقية، ولكن باختلاف واحد، حيث انّه عند المقارنة وابراز مفاهيم العالم الخارجي تمتلك كلمتا المطابقة والمخالفة معنىٰ ويُوجد الصدق والكذب، إلّا أنّه لا مجال للكذب في العالم الخارجي.

وبعبارة أُخرىٰ إن التصورات والمفاهيم هي لوحدها القادرة علىٰ التدليل، وهذه المفاهيم اذا كانت متطابقة مع العالم الخارجي تكون صحيحة وإلّا فهي غير صحيحة، في حين لايوجد هذا المعنىٰ بالنسبة للحقائق الخارجة عن الفكر. والحقيقة مهما تكن هي هي، أي بإمكاننا ان نقول الحقيقة هي ـ فقط ـ في عالم الواقع والحقيقة، وان سبيلنا الىٰ العالم الآخر يمر في الغالب عبر هذه التصورات والمفاهيم، بإستثناء معرفة أنفسنا حيث نعرف أنفسنا بأنفسنا بلا تصور أو فكرة عن النفس، وكذلك هو الحال مع عالم التصورات؛ حتىٰ اذا وضعنا خاصية التدليل والكشف منه جانباً، يبقىٰ واقعاً كما هو دون زيادة أو نقصان.

الكمال المطلق :

علىٰ أيـة حـال فـالمراد مـن الحـقيقة المـطلقة هـو الوجـود الأصـيل المتكئ علىٰ ذاته ، كما وإن المراد من الكمال المطلق ـ أيضاً ـ هـو نـظير هـذا البحث ، أي اذا ما سلمنا بوجود العلم والإرادة والحياة في وجودك يـجب أن نسلّم بالضرورة بوجود علم أصيل وحياة وارادة مطلقة في العالم .

ومن هنا نقول : أنّ خالق الكون وربّ الوجود وإلٰه المـوجودات جـميعاً ، مطلق وأزلي وسرمدي في وجوده وفي كمالات وجوده .

ومن هنا ـ أيضاً ـ نقول ان الله تعالىٰ لا هو فـي عـالم الاشكـال هـذه لكـي يتجلىٰ بشكل أو لون معيّن ، ولا هو خارج هذا العالم لكي تسـتقلّ الأشكـال والألوان بنفسـها ، وذلك لأن ضعف العالم كلّه بيّن وواضح كالشمس ، حـيث ظهر في ظل أصل الوجود ، وبعد فترة يتغيّر ويتبدّل الىٰ شكل ولون آخر .

العلم والعرفان :

الطّـالب ـ بـانت عـلىٰ وجـنتيه ابـتسامة جـميلة ، وشـيئاً فشـيئاً لم تمكن من السيطرة علىٰ نفسه ، فأطلق ضحكة ذات مغزىً ، وقال : لقد تحوّل المجلس الىٰ العرفان ، وحان الوقت كي نضيف الىٰ بحثنا عدّة ابيات من الشعر في العشق والعاشق حتىٰ يجذبنا ذلك المعبود الكامل ويستحوذ علىٰ قـلوبنا وعيوننا اضافة الىٰ عقولنا .

أيّها السّيد : ما علاقة بحثنا العـلمي العـقائدي بـهذه المـفاهيم المـصطنعة والتصورات الشاعرية ؟

ـ بمناسبة حديثك عن العرفان ، لابدّ من القول : إن بحثنا في الوقت الذي هو بحث علمي وعقائدي ، سيأخذ بالتدريج طابعاً عرفانياً لأن العرفان بالمعنى الصحيح للعبارة، هو معرفة إله الكون فثنايا نفس هذا العالم تعني بلوغ النظرة الكونية للانسان مرتبة بحيث كلما نظرت الى شيء تجسد لها تزلزله وتغيّره فضلاً عن حاجته الى متكئ [1]

وكما أسلفنا ، اذا نظرنا الى موجودات الكون كما هنّ حقّاً ، لشهدنا قبل كلّ شيء تزلزلها وتغيّرها وعدم ثباتها وحاجتها الماسة الى أصل ثابت يرعاها .

وحقّاً ـ إذا نظرنا بتفحص الى كل ما نعرفه عن موجودات هذا العالم وما فيها من التزلزل والتغير وعدم الثبات ، لتبيّن لنا بوضوح ان دوران عجلة الخلقة بوضعها المتحرك غير الثابت، لهو أفضل دليل على وجود أصل حقيقي ثابت تتكئ عليه جميع الموجودات .

الإله المطلق :

الطّالب ـ أجل ، سلّمنا أنّ العالم بكلّ ما فيه في تغيّر وتبدّل مستمرين وليس هناك شيء له شكل ثابت أبدي وحتى الأرض ، والشمس ، وجميع

---

١) جاء حبرٌ الى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال : يا أمير المؤمنين عليه السلام هل رأيت ربّك حين عبدته ؟
فقال عليه السلام : ويلك ، ما كنت أعبد ربّاً لم أره .
فقال : وكيف رأيته ؟
قال عليه السلام : ويلك لاتدركه العيون في مشاهدة الابصار ، ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان . «توحيد الصدوق رحمه الله ، ص٩٦».
وكما ورد عن علي عليه السلام أنّه قال : مارأيت شيئاً إلّا ورأيت الله قبله وبعده ومعه ».
وهذا بنفسه هو النظرة الكونية مورد البحث .

الأجرام السماوية والذّرات الأرضية عرضة للتغيّر والتبدّل. وسلّمنا ـ أيضاً ـ أنّ العالم بوضعه هذا بحاجة الىٰ حقيقة تضمن هذا النشاط والحركة وتديمها.

سلّمنا أن هذا العالم الذي نعرفه كلّه في حالة حركة ونشاط وتغيّر وتبدّل وهذه المسألة بحدّ ذاتها تدلّ علىٰ وجود أصل في عمق العالم والوجود يتكئ عليه الوجود وحركة الموجودات من حيث أنّه لايوجد فعل دون فاعل.

ولكن الإله الذي تُصر علىٰ أنه كلّي[1] ومطلق وبسيط، وتصرُّ علىٰ أنّه ليس له زمان ومكان وشكل ولون ووزن وجسم وأول وآخر و... لم يكن له أثراً في العالم فيما رأيناه وعرفناه لحدّ الآن.

ـ أكاد أشك، هل أنت باحث عن الحقيقة، أم تلتزم جانب العناد والجدال، لأنك كنت قد إعترفت مراراً فيما سبق من البحث بأن الحركة في انحاء الوجود بحاجة الىٰ قوّة محرّكة وليس هناك شيء في هذا العالم بإمكانه الحفاظ علىٰ شكله باستمرار، وأن هذه التغيرات والتبدلات تتكئ علىٰ نقطة فاعلة موجودة في العالم، ونحن ـ أيضاً ـ قلنا إن إله العالم ليس خارج هذا العالم.

والآن تقول إننا لا نراه أو لا نعثر له علىٰ أثر في هذا العالم ؟!

لقد اعترفت فيما مرّ أن هناك الكثير من الأشياء لا نستطيع لمسها بواسطة حواسنا، لكننا ندرك وجودها بوضوح، مثل العلم، والحياة، و....

---

١) لايخفىٰ ان المراد من لفظة «كلّي» ليس ذلك المعنىٰ المقصود في العلوم العقلية المرتبطة بعالم المفاهيم، والذي لا وجود له خارج نطاق الذهن. بل المراد التجرد من الحد والتناهي والاول والاخر والحجم والزمان والمكان و...

فهل تبحث عن إلهٍ يمكن رؤيته الىٰ جانب الموجودات علىٰ هيئة وشكل معينين ، أو يمكن مسكه باليد ووضعه في الجيب وإخضاعه الىٰ التجارب المختبرية ، من أجل رؤيته ؟! . اذا كنت كذلك، فإن هذا [الإله] ـ أيضاً ـ يكون جزءً من العالم وخاضعاً لقوانينه ، أي غير ثابتٍ ؛ بل متغيّر وخاضع لتأثير العوامل الأخرىٰ ، وليس مؤثراً وفاعلاً.

حافة العالم اللامحدود :

الطّالب ـ كلا ، كلا ، لا تُسيئ الظن . أُقسم بالقوّة التي يتكئ عليها هذا العالم العظيم بأنني لازلت باحثاً عن الحقيقة والتعرُّف اليها بشكل أوضح ، ولم يكن مرادي من قولي (لا نعثر له علىٰ أثر) ، هو العودة الىٰ كلامي السابق .

إنني جئتُ معك في هذا الحوار الىٰ حافة هذا العالم اللامحدود ، أي انني أشعر بوضوح أن هذا الذي نسميه العالم ؛ كله نشاط وحركة وتغيّر وتبدّل مستمر وأن جميع الموجودات تخضع في نشاطها وحركتها لقوانين ثابتة ومنظمة ودقيقة وحساسة . وأن كلّ هذا النشاط والنظام والدّقة لايمكن أن يحصل دون متكئ ومرتكز .

لقد جئت معك الىٰ حافة هذا العالم ، وتوصلنا الى أن نقطة الاتكاء والإرتكاز هذه تقع في قلب العالم ، وليس لها لون وشكل معيّنين لأن جميع الاشكال والألوان في هذا العالم متبدلة وغير ثابتة وخاضعة لهذه القوانين .

وبالتالي ، توصلتُ معك الىٰ معرفة الله ، إلّا أن ألفاظ (البسيط) و (المطلق) و (الكلي) بحسب تعبيرك وقولك انه موجود في كل مكان وليس له مكان ، ولا هو في العالم ولا خارج العالم ، فقولك موجود في العالم

وخارجه في آن معاً، وما الىٰ ذلك مازالت غير واضحة بالنسبة لي.

ـ حسنٌ جداً، اذا كنّا قد وصلنا الىٰ حافة العالم الآخر، فانني واثق من اننا سنصل الىٰ مقصدنا النهائي إثر جذبه لنا[1]. كما أن جميع الموجودات منجذبة إليه في أصل الوجود.

فاذا كنت ـ حقّاً ـ قد اعترفت بأن كل ما نراه في هذا العالم من نشاط وحركة يستند الىٰ قوة ليس لها شكل معيّن، لأن أشكال جميع الموجودات في حالة تغيّر مستمر، يكون البحث بذلك قد اتّضح بشكل كامل.

وإذا إعترفت بوجود حقائق في هذا العالم ليس لها شكل مادي وغير قابلة للّمس كالعلم والحياة.

لو إعترفت ـ حقاً ـ بأن الوجود بمعناه الواسع الأعم من الماديات والحقائق غير المادية في حالة حركة وتغير، وسلّمت بأن مراتب ودرجات الحياة ومراتب ودرجات العلم في العالم هي حقائق واقعية، يكون البحث قد إتّضح جلياً.

أي عندما نقول: إن الله ليس في هذا العالم، إنما نعني أنه ليس كواحد من الموجودات المعيّنة الخاضعة لقوانين العالم العامة، بل هو [عزّوجلّ] حاكم وخالق هذا العالم وقوانينه.

وعندما نقول: ليس خارج العالم، انما نعني أنه ليس بعيداً عن الخلق والموجودات الأُخرىٰ، من حيث أنه [عزّوجلّ] كل الموجودات في جميع الأحوال.

وعندما نقول: ليس له وزن، وحجم، وشكل، وزمان ومكان، فلأنه إذا

---

١) ﴿والّذينَ جاهَدوا فينا لَنَهْدِيَنَّهم سُبُلَنا وَانّ الله لَمَعَ المُحسِنين﴾. (العنكبوت: الآية ٦٩)

امتلك هذه الخواص سيكون جسماً قد تكوّن في زمان ومكان معيَّنين، ويصبح مثل هذا الشيء عندئذ جزءً من العالم وخاضعاً لقوانينه[1]، وليس قواماً ومتكئاً لكل الموجودات في كلّ الأحوال.

وكما قلنا ان مثل هذه الحقيقة التي ترتبط بها جميع الحقائق، ومثل هذه القوّة التي تنبع منها كل القوى، لايمكن للفكر الانساني ان يحيط بها كما هي علىٰ اطلاقها ولا كلّيتها.

إلّا أنّه يمكن إدراك ومعرفة أصل تحققها ووجودها عن طريق تحقق ووضوح العالم.

الطّالب ـ أخذت أُدرك المسألة الىٰ حدّ ما، وأرىٰ نفسي في وضع أكثر وضوحاً. انني الآن أرىٰ العالم بنحو آخر، وأُدرك بوضوح أن هذه الدنيا التي لا نهاية لها، والمليئة بالنشاط والحركة والفعالية، لابدّ أن تكون مرتبطة ومتكئة علىٰ حقيقة مطلقة قيّومة هي روح العالم.

---

١) عن علي عليه السلام: «الحمد لله الذي لايبلغ مدحته القائلون، ولا يحصي نعمائه العادُّون، ولا يؤدي حقه المجتهدون، الذي لايدركه بعد الهمم، ولا يناله غوص الفطن، الذي ليس لصفته حد محدود، ولا نعت موجود، ولا وقت معدود، ولا أجل ممدود، فطر الخلائق بقدرته، ونشر الرياح برحمته، ووتَّد بالصخور ميدان أرضه، أوّل الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيده، وكمال توحيده الاخلاص له، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة. فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثنّاه، ومن ثنّاه فقد جزّأه، ومن جزّأه فقد جهله، ومن جهله فقد اشار اليه، ومن أشار لله فقد حدَّه، ومن حدَّه فقد عدَّه، ومن قال فيمَ فقد ضمَّنه، ومن قال على م فقد أخلى منه، كائن لا عن حَدَث، موجود لا عن عدم، مع كل شيء لا بمقارنة، غير كل شيء لا بمزايلة، فاعل لا بمعنىٰ الحركات والآلة بصير اذ لا منظور اليه من خلقه ...

التوحيد :

إلّا أنّـه ومـع ذلك كـله ، مـازالت هـناك مسألة وحـدة الخـالق والرّب ، أرجو أن توضّحها أكثر ، من حيث انه علىٰ الرغـم مـن انـنا نـرىٰ العـالم كـلّه ونواميس الخلقة في حالة نشاط وتغيّر مستمر ونشعر بنحو وآخر بوجود متكأ له ، لكنه يبدو بصورة متشتتة في العالم وموجوداته ، وهـذا التشـتُّت والتـقيم والكثرة هو الذي يبدو ظاهراً للعيان أكثر من الوحدة.

وباختصار ، إن أصل الوجود والخالق واضح بنحو وآخـر ، لكـن وحـدته ليست واضحة كما ينبغي .

قبل التوحيد :

ـ ثـق إنّـني أشـعر بـنشاط خـاص فـي كـياني لأنـنا خـطونا خـطوة الىٰ عالم واضح وواسع ، وأصبحت لدينا رؤية [فـلسفية] كـونية أخـرىٰ ، إلّا أنّـه لابد من التأكيد علىٰ اننا سوف لاننتقل الىٰ نقطة أخرىٰ مادامت هـناك عـبارة تتردد (بنحو وآخر) من خلال كلامك ، وهي بحث مسألة توحيد الله يأتي بعد الإقرار بوجوده ، ومالم ندرك بوضوح أصل الوجود الالهي لايمكننا الخوض في وحدته، فأنت تقول: إن وجود الخالق واضح بـنحو وآخـر نـظراً لوجـود العالم ، والإله الذي يكون واضحاً بنحو وآخر فانت تشك فيه ، ولذا لاينبغي البحث حول وحدته .

الطّالب ـ ضحك وقال أوّلم تقل إنه لايمكننا معرفة الله كما هـو ، لأن ذلك خارج عن إحاطة الإدراك الإنساني بـاعتبار أن الانسـان مـخلوقٌ وجـزء مـن

[كل] العالم. من هنا أقول واضح بنحو وآخر، إلاّ أنه لاشك في وضوح أصله ولم يكن مرادي التشكيك في الأصل.

ـ حسنٌ جداً، إذن سلّمنا بأنّ جميع الحقائق والموجودات في هذا العالم تنبع من حقيقة موجودة واحدة لا شكل لها، وعلىٰ هذا ليس لها زمان ومكان، ووزن وحجم، وأول وآخر، ولا يمكن القول بحقّه سبحانه وتعالىٰ: ماذا هو؟ وأين هو؟ ومتىٰ وجد؟ والىٰ متىٰ سيبقىٰ؟ لأن جميع هذه الاستفهامات تصح فقط علىٰ الموجودات الدنيوية ذات الأشكال والتغيّر والتبدّل.

وبالتّالي فان خالق الكون وقيومه، ومتكأ الوجود في تمام مراحل وحركات الموجودات حقيقية هو حقيقة ثابتة، وأزلية، وابدية، وهو ليس خارج هذا العالم ولا داخل فيه[1].

العلم والقدرة والحياة والإرادة:

ـ وقبل أن ندخل الىٰ بحث التوحيد اسمح لي أن أطرح عليك سؤالاً آخر لكي نرىٰ بوضوح ما إذا كان الله تعالىٰ يحيط بالعالم أم العالم يحيط به.

الطّالب ـ تفضّل.. أرجوك.

ـ هل بإمكانك ان تهبَ نقوداً لأحد ما لم تكن تملكُ نقوداً؟ أو أن تُعلِّم أحداً ما لم تكن عالماً؟ أو ان تفعل شيئاً لأحد مالم تكن تملك قوّة وموقعاً؟

---

١) يقول الفيلسوف الشهير زابيذ: الحوار حول شيء غير الله هو حوار حول لاشيء. ويقول ـ أيضاً ـ: القول الذي ينكر الله يحرق فم قائله. (دائرة المعارف: فريد وجدي، ج١ ص٤٨٢).

الطّالب ـ كلا . من الواضح أنه ليس بإمكان المرء أن يهب لأحد ما لا يملك ، من حيث أن الايهاب يستوجب التملُّك أو الخَلق الذاتي .

ـ حَسنٌ جداً ، هل يوجد في العالم حياة ، وشعور ، وعلم ، وإرادة ، وقوّة و ... أم لا ؟ وهل يبدو للناظر في هذا العالم الواسع أثر لهذه الكمالات أو مظاهر الوجود ؟

الطّالب ـ أجل . من الواضح جدّاً أننا نلحظ الحياة في عالم النبات والحيوان والإنسان بأشكال مختلفة ، كما نلحظ ـ بوضوح أكثر ـ الكمالات الأخرىٰ كالشعور والإرادة في الحياة الإنسانية .

ـ حسنٌ جداً . هل أن مصدر القوّة وواهب الوجود ومدبِّر الموجودات في العالم فاقد للعلم والإرادة ، وللحياة والقوّة ؟ أي هل يمكن أن يأتي العلم من مبدء ومنبع بلا علم ، والحياة من شيء فاقد للحياة ؟

الطّالب ـ إن هذه الصفات والحقائق التي تفضلتم بها والتي كنّا قد تباحثنا حولها فيما مضىٰ ، لا تعدو عن كونها كيفيات تُلحظ في الموجودات في مراحل معينة .

ـ طيّب . لا علينا بحقيقة هذه الكمالات ، حيث كنّا قد تباحثنا فيما مرّ حول كيفيات بعضها ، ولا نبغي التعمق فيها من الناحية العلمية ، لكننا نسأل ـ فقط ـ هل يمكن أن تكون هذه الحقائق الموجودة في العالم دون مبدء ومصدر ؟ وهل يمكن أن يكون المبدء الذي يتكئ عليه العالم في كل الأحوال ، عديم العلم والإرادة ، والحياة والقوّة ، مع ان هذه الكمالات موجودة في الموجودات ؟

الطّالب ـ كلا . لا يمكن ، ونحن كنّا قد سلّمنا بأن للوجود وكمالاته مصدر

ومنبع أساس واقع في قلب العالم.

ـ على هذا، فان ربّ الكون وخالقه الذي لاتستغني عنه الموجودات أبداً، قديرٌ، وعليمٌ، وحيٌّ، وقيوم[1].

☆☆☆

١) من الواضح أن هذه الكمالات في الله سبحانه هي عينية وكلية وذاتية له، لا أنه حي كباقي الاحياء وعالم كالعلماء، حيث قد تم إثبات ذلك من الناحية العلمية في محلّه.

اللهُ واحد ؟

الطّـالب ـ حسـنٌ جـداً . أعـتقد أنـه الىٰ هـنا يكـفي البحث حـول أصل ومبدء الكون، كما وعرفنا من خلال شرحكم حـول الصـفات الإلهية ، إنّ جـميع الكـمالات المـوجودة فـي العـالم هـي مـوجودة فـيه [عـزّوجلّ] بالضّرورة ، إلّا أنه كان من المتّفق عليه أنْ تقدم بعض الشّرح والتّوضيح حول وحدته تعالىٰ في قِبال كثرة الموجودات ، وكيف يمكن أن لا نعترف بالكثرة في هذا العالم ونراه واحداً في الوقت ذاته ؟!

ـ أجل . أتصور لو أنك كنت قد دققت فـيما مـضىٰ مـن البـحث ، وعـلىٰ القسم الرئيسي منه بالذات ، لما إحتجنا الىٰ كثير شرح وتوضيح هـنا ، حـيث أننا إذا إعتبرنا ربّ الكون وخالقه بلا شكل ولون ، ومطلق ليس له أول وآخر ، تتضح وحدته من تلقاء نفسها .

الطّالب ـ ماهي العلاقة بين إطلاق الحقيقة ووحدتها؟ فعلىٰ سبيل المثال ؛ أليس الانسان واحداً من الحقائق مع أنّه ليس واحـداً وهـناك أنـاس كـثيرون، وكذلك الكثير من الحقائق في هذا العالم ؟

ليس الواحد الحسابي :

ـ صـحيح . ولكـن لابـدّ مـن مـعرفة أن للـوحدة أقسـام ، فأحـياناً نـقول

(واحد)، ونعني به ذلك الذي يصبح إثنان إذا ما أضفنا اليه واحداً. وهذه عملية حسابية تجري في الأعداد، ويمكن بحث المسألة بالقول هل هو عدد وصانع للعدد في آن معاً أم صانع له فقط؟ وفي كل الأحوال، من الواضح أن الحقيقة المطلقة والكلية التي عرفناها بما يكفي فيما مرّ من البحث، لا يمكن أن تكون واحداً بهذا المعنى، أي ليس له شبيه ونظير في العالم العيني والخارجي لنقرنه به، وبعبارة أُخرى فالأحد غير الواحد.

ليس الواحد التّصوري:

و ـ أحياناً ـ نقول (واحد)، وليس لهذا الواحد معنى في غير عالم التصورات والمفاهيم، ولا يصح في عالم الحقائق الخارج عن محيط الفكر وكالمثال الذي ضربتُه، حيث نقول: إن الانسان نوع واحد من الموجودات الحيّة، والزّهر والنّبات كلّ منهما نوع واحد من الأزهار والنباتات، ويُعبّر عن ذلك بالحقيقة النوعية من حيث أن هذا الواحد وهذه الوحدة إنما يصحّان في الذهن فقط، نظراً لتعدد افراد الانسان والنبات وكثرتهما في الخارج[1]. ويتضح من هذا ان هذه الوحدة ـ أيضاً ـ ليست

(١) حينما يلتقط الانسان صوراً للموجودات ويضعها الى بعضها، يقوم بتعيين نقاط الاشتراك والامتياز فيها. فهو مثلاً يضع البشر كلّهم في صف واحد ثم يقول: هؤلاء كلهم مشتركون في الانسانية، لكن أحدهم إبن لفلان، والآخر في المكان أو الزمان أو اللون الفلاني، فهم يتمتازون عن بعض من هذه الجهات. واحياناً يترقّى اكثر فيضع الانسان في صف الحيوان ثم يقول: هؤلاء كلهم حيوانات لاشتراكهم مثلاً في الاكل والنوم والتناسل، لكن أحدهم يتكلم والآخر يطير، أحدهم يعيش في الماء والآخر... وهذا ما يصطلح عليه بالوحدة النوعية بالنسبة للمورد الاول والوحدة الجنسية بالنسبة للمورد(الوحدة) الثاني. وكل حقائق هذا العالم خاضعة لهذه التحليل ←

مقصودة في بحثنا، من حيث ان خالق الكون ومدبِّر أموره خارج عن مجال الذهن والتصور، وهو الحقيقة المطلقة التي أصبحت الحقائق حقائق بفضله، وحتىٰ الفكر؛ تحقق بفضله في ظلّه.

الواحد الحقيقي:

والمرحلة الثالثة هي الواحد الحقيقي الذي هو عين الوحدة، أي أن الوحدة هي ذلك الواحد والواحد هو تلك الوحدة وحدة ذات الواحد وواحد ذات الوحدة، ونقول في المثل: إن فلاناً شخص فريد من نوعه ولا نظير له، أي ليس هناك من يشبهه وهو أفضل من الجميع، وفي هذه الحال لايكون المقصود من كلمة (الواحد) بيان المقدار والعدد، بل هو الإنفراد والتميّز عن الآخرين.

والمقصود من الواحد والوحدة بشأن باريٰ الكون وإله الوجود، هو هذا المعنىٰ الذي يوحي بأنه ليس له شبيه ومِثْل في عين عالم الفكر وخارجه.

الطّالب ـ اذن ليست الوحدة بهذا المعنىٰ سوىٰ مفهوم ذهني ليس له وجود خارجي، بحسب تعبيركم، وذلك الشخص الفريد من نوعه هو في عالمنا الواقعي نفس الشخص، وبعبارة أفضل هو الواحد لا الوحدة.

← أجناساً وأنواعاً. سوىٰ تلك الحقيقة التي تتكئ عليها الحقائق والتي لايسعها الذهن، فلا شك أنّها أفضل من الجنس والفصل، وان وحدتها ـ أيضاً ـ غير الوحدة النوعية والجنسية.

ـ صحيح . يُفرحني جداً أن أراك مهتماً بالمسألة بدقة . ولكن يجب ان تلتفت الىٰ أننا عندما نقول : إن فلاناً شخص فريد من نوعه، فإنما نعني أنه هكذا في جانب معين فقط ؛ مثلاً في العلم ، أو الفضيلة ، أو الأخلاق أو الأدب وما الىٰ ذلك أمّا النقاط التي يشترك فيها مع الآخرين فلا تؤخذ بنظر الاعتبار ، والآن أنظر الىٰ جانب الإمتياز الذي يتأتىٰ من الانفراد بخصلة معينة، أي العلم والأخلاق ، مثلاً ؛ تجده في درجته عين الوحدة ، أي انفراد . وبالطّبع يوجد تعبير أدق في هذا المجال ، اذا رغبت أعرضه لك ، هنا .

الطّالب ـ تفضل .. أرجوك . إننا من خلال طول البحث والتعرف علىٰ هذا الأسلوب الفلسفي الممتاز ، نشعر مع كلّ جديد بلذّة خاصّة . وأكون سعيداً اذا استمرت هذه البحوث . حقّاً كم ان الكتب الدّراسية جافّة بحيث تتناول القضايا بأساليب ليس بإمكانها تنشيط وتطوير القوّة الفكرية لدىٰ الانسان .

ـ أرجو ان لا تنتقد الكتب الدراسية، من حيث أن توفير الكتب الدراسية الكلاسيكية هو عمل في غاية الصعوبة ، ويتطلب عند تأليفها الأخذ بنظر الإعتبار اختلاف المستويات الثقافية وإعتماد أُصول علم النفس بدقة ، خلافاً لتأليف الكتب الفنية والعلمية البحتة التي يجب علىٰ القارئ أن ينسجم معها . وبالطبع يجب مراعاة بعض الأمور حتىٰ في الكتب العلمية . لكننا لسنا بصدد بحثها الآن . والمراد هو أن كتّاب الكتب الدراسية ليسوا مقصّرين في مجالات البحث هذه كثيراً ، فضلاً عن أن بعض جوانب هذه

البحوث هي في مستوىٰ لايمكن تسهيلها وتبسيطها أكثر من ذلك.

الطّالب ـ أحسنت. كان مرادي هو قصور الكتب الدراسية الكلاسيكية عن حل المشاكل العلمية. من الأفضل ان تعود الىٰ أصل الموضوع. قلتم: إنه يوجد تعبير أكثر دقّة للواحد.

أكثر دقة:

ـ أجل. أحياناً نقول ـ أيضاً ـ الواحد بمعنىٰ غير القابل للتقسيم، حيث لايمكن تقسيم واحدنا بأي حال من الأحوال، فهو ليس له جهة معينة، ولا فوق أو تحت، ولا مركز ولا محيط. ولا يمكن اطلاق كلمة الواحد علىٰ إله الكون وربّ الوجود وما فيه بشكل صحيح وكامل إلّا بهذا المعنىٰ، أي تلك الحقيقة التي ليس لها شكل معين وجميع الاشكال تكتسب أشكالها منه، وهو غير موجود في إطار الزمان والمكان، بل إنّهما إكتسبا وجودهما من فيض وجوده ولم يكن شيئاً معيناً، بل اتصفت كل الاشياء بالشيئية عن طريقه، وليس له فوق، وبالتالي هو الواحد الذي لايمكن تقسيمه حتىٰ في نطاق الفكر والتصور لأن مايخطر علىٰ الفكر ويمكن تصوره ليس هو، بل نفس التصور معلول الانسان، والانسان مع معلوله قسم من العالم لا مصدره ومنبعه.

وبعبارة أخرىٰ، ان ما يمكن تقسيمه شيء، و [الله تعالىٰ] ليس بشيء، وإن الموجود الذي لايمكن تقسيمه واحد بذاته، لا إنه واحد وصفي، بل إنه

واحد بذاته وعين الواحد خارج اطار دنيا الفكر [١].

والآن إتضحت العلاقة التي تربط بين المطلق ووحدانيته، حيث قلنا إذا فهمنا البحث الأول بوضوح سوف لانكون بحاجة هنا الىٰ التوسع في هذه المسألة كثيراً، لأن المطلق الذي لايحدّه زمان ومكان، وأوّل وآخر، ولا يمكن تقسيمه، هو عين الواحد والتوحيد، وهكذا نحن نؤمن بأن الله تعالىٰ واحد أحد لاشريك له [٢].

وفي الختام لابد من الإشارة الىٰ أن البحث في مسائل: الحياة، والقدرة، والعلم، والإرادة، وما الىٰ ذلك من الكمالات الإلهية التي عرفناها، هو بالضبط كالبحث في الوحدة والتوحيد، أي أن حقيقة البارئ تعالىٰ هي عين هذه الكمالات، وهذه الكمالات هي عين ذاته عزّوجلّ، والفارق هو فقط

---

١) أنظر الىٰ هذا الحديث الشريف الذي يبين عين البحث:
عن المقدام بن شريح بن هاني، عن أبيه قال: ان أعرابياً قام يوم الجمل الىٰ أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين أتقول إنّ الله واحد؟ قال فحمل الناس عليه قالوا يا اعرابي أما ترىٰ ما فيه أمير المؤمنين من تقسيم القلب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: دعوه فان الذي يريده الاعرابي نريده من القوم، ثم قال: «يا أعرابي إن القول في أن الله واحد علىٰ أربعة أقسام، فوجهان منها لايجوزان علىٰ الله عزّوجلّ، ووجهان يُثبتان فيه، فأمّا اللذان لايجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به الأعداد، فهذا ما لايجوز، لأن ما لاثاني له لايدخل في باب الأعداد، أما ترىٰ أنه كفر من قال ثالث ثلاثة. وقول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا ما لايجوز عليه، لأنه تشبيه، وجلّ ربّنا عن ذلك وتعالىٰ.
وأمّا الوجهان اللذان يُثبتان فيه فقول القائل هو واحد ليس له في الأشياء شبه كذلك ربّنا، وقول القائل إنه عزّوجلّ أحَديّ المعنى يعني به أنه لاينقسم في وجود ولا عقل ولا وَهْم كذلك هو ربّنا عزّوجلّ». (التوحيد: للشيخ الصدوق رحمه الله، ص٦٧).

٢) تأمل كيف يبين باسكال هذة الحقيقة قياساً بفكرة اذ يقول: الخالق كرة لانهاية لها؛ مركزها في كل مكان ومحيطها ليس له مكان.
وفي تعبير قريب من ذلك، يقول لوكورديه: إن الله الواحد هو تلك الشمس الساطعة التي تشمل بشعاعها الخالد جميع الموجودات. (دائرة المعارف: فريد وجدي، ج١ ص٤٨٢).

في تصورنا وأذهاننا. وبعبارة أخرىٰ؛ إن ذاته تعالىٰ وكمالاته في الواقع هما شيء واحد[1].

الطّالب ـ أجل، واضح جداً. إن ادراك أصل البحث فيه صعوبة كما تفضّلتم ولكن بعد الوقوف علىٰ معنىٰ الاطلاق والمطلق بشأن الحق وكمالاته، تيسر إدراك وحدته بهذا المعنىٰ بوضوح.

ـ هل أفهم من كلامك أنك مازلت مشككاً في أصل الموضوع؟

الطّالب ـ كلا، كان قصدي مسألة الربط بين الكلية والوحدة حيث جاءت غامضة الىٰ حد ما، اما بشأن أصل البحث أو الموضوع، فإنني أعتقد أنه قيل حوله ما ينبغي. ولكن تُرىٰ هل سَيحلُّ هذا عقدتنا الاساسية؟ العقدة التي دخلنا هذا الحوار من أجلها؟

إلٰهُ الاسلام:

والآن، وقبل أن ننتقل الىٰ حلّ عقدتك أي مسألة العدل، إسمح لي أن أقرأ لك بعض آيات القرآن الكريم لكي يكون واضحاً أن الإلٰه الذي يقول به القرآن الكريم ليس موجوداً لا في العالم و لا خارج عنه لا في الزمان والمكان، ولا خارج الزمان والمكان، وبالتالي فإنه تعالىٰ لايمكن حصره في العالم، ولولاه لما كان العالم. وبالطبع لست أبغي الإستدلال

---

١) قيل للامام الصّادق عليه السلام: أنّ رجلاً ينتحل موالاتكم أهل البيت يقول: إن الله تبارك وتعالىٰ لم يزل سميعاً بسمع، وبصيراً ببصر، وعلياً بعلم، وقادراً بالقدرة، فغضب عليه السلام ثم قال: «من قال بذلك ودان به فهو مشرك وليس من ولايتنا علىٰ شيء، إن الله تبارك وتعالىٰ ذات علّامة، سميعة، بصيرة، قادرة». (التوحيد:للشيخ الصدوق رحمه الله، ص١٣٣)

بالقرآن لِئَلا تقول مازلنا نجهل النّبوة فضلاً عن كلام النبي، وإنما المراد هو بيان طريقة تفكير الإسلام في المسألة.

الطّالب ـ أرجوك .. تفضل، قد يجرّنا البحث الى هناك أيضاً، أمّا الآن حيث أن المسألة واضحة إستدلالاً، فلا بأس في أن نستفيد من آيات القرآن أيضاً.

الله تعالىٰ مصدر كل الأشياء:

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة بهذا الشأن، إلاّ إنّنا اخترنا بعضها فقط، يقول تعالىٰ في أحد المواضع:

﴿وَإِنْ مِنْ شَيءٍ إلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلهُ إلّا بِقَدَرٍ مَعْلوم* وَأَرْسَلْنا الرِّياحَ لَواقِحَ فَأَنْزَلنا مِنَ السَّماءِ ماءً فأَسْقَيْناكُمُوهُ وَما أَنْتُم لَهُ بِخازِنين* وَإنّا لَنَحْنُ نُحْيي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الوارِثُون* وَلَقَدْ عَلِمْنا المُسْتَقْدِمينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنا المُستأخِرين* وإنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إنَّهُ حَكِيمٌ عَليمٌ* وَلَقَدْ خَلَقنا الإنْسان مِنْ صَلصالٍ مِنْ حَمإٍ مَسْنون* وَالْجانَّ خَلَقناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُوم﴾[1].

تدبير الله في الكون:

وفي موضع آخر:

---

١) سورة الحجر: الاية ٢١ ـ ٢٧.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والْقَمرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلىٰ أَجَلٍ مُسَمّىٰ وأَنَّ اللهَ بِما تَعْمَلُون خَبِير﴾[1].

وجاء ـ أيضاً ـ:

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيلَ والنَّهارَ والشَّمسَ والقَمرَ والنُّجُومَ مُسَخَّراتٌ بِأمرِهِ إِنَّ في ذلِكَ لآياتٍ لِقَومٍ يَعقِلون﴾[2].

وفي موضع آخر ورد:

﴿وَلَئِنْ سألْتَهُمْ مَن خَلقَ السَّمواتِ وَالأرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والقمر لَيَقُولُنَّ اللهُ فأنّىٰ يُؤفَكون* الله يَبسُط الرِّزْقَ لِمَن يَشاءُ مِنْ عِبادِه وَيقْدِرُ لَهُ إِنَّ الله بِكُلِّ شيءٍ عَلِيم* وَلَئِنْ سَألْتَهُم مَّنْ نَزَّلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فأحْيا بِهِ الأرْضَ مِنْ بَعْد مَوتِها لَيَقُولُنَّ الله ...﴾[3].

وقال تعالىٰ في كتابه الحكيم:

﴿إِنَّ في السَّموات والأرْضِ لايات للمؤمِنِينَ* وَفي خَلْقِكُمْ وَما يَبُثُّ مِنْ دابَّةٍ آياتٌ لِقَوْم يُوقِنُون* وَاخْتِلافُ اللَّيْل والنَّهار وَما أنْزل اللهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ رزْقٍ فأحْيا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَتَصْرِيفِ الرِّياحِ آياتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُون﴾[4].

ورد في القرآن الكريم أيضاً:

﴿وَالسَّماءَ بَنيناها بأيدٍ وَانّا لَموسِعُونَ* والأرْضَ فَرَشْناها فَنِعْمَ الماهِدون* وَمِنْ كُلِّ شَيءٍ خَلَقْنا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون﴾[5].

---

١) سورة لقمان: الآية ٢٩.

٢) سورة النحل: الآية ١٢.

٣) سورة العنكبوت: الآية ٦١ ـ ٦٣.

٤) سورة الجاثية: الآيات ٣ ـ ٥.

٥) سورة الذاريات: الآيات ٤٧ ـ ٤٩.

الله في الطبيعة:

ونقرء كذلك:

﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمواتِ والأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُم مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَنْبَتْنا بِهِ حَدائِقَ ذاتَ بَهْجةٍ ما كانَ لَكُمْ اَنْ تَنبُتُوا شَجَرَها ءَإِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُون* أَمَّنْ جَعَلَ الأَرْضَ قَراراً وَجَعَلَ خِلالَها أَنْهاراً وَجَعَلَ لَها رَواسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ البَحْرَيْنِ حاجِزاً ءَإِلَهٌ مَعَ اللهِ بَلْ أَكثَرَهُمْ لايَعلَمون﴾[1].

العالم في أمر الله:

وقال تعالىٰ ـ أيضاً ـ في كتابه المجيد:

﴿خَلَقَ السَّمواتِ والأَرضَ بالحَقِّ تعالىٰ عَمّا يُشرِكُون*خَلَقَ الانْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإذا هُوَ خَصيمٌ مُبين* والأَنْعام خَلَقَها لَكُمْ فيها دِفءٌ وَمَنافِعُ وَمِنْها تَأكُلونَ* وَلَكُمْ فيها جَمالٌ حِينَ تُريحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُون* ... والخَيْلَ والبِغالَ والحَميرَ لِتَرْكَبُوها وَزِينَةً وَيَخْلُقُ ما لا تَعْلَمُون* ...هُوَ الَّذي أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً لَكُمْ مِنْهُ شَرابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيه تُسِيمُون* يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ والزَّيْتُونَ وَالنَّخيلَ والأَعْنابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ اِنَّ في ذلِكَ لآيَةً لِقَوم يَتَفَكَّرُون* وَسَخَّرَ لَكُم اللَّيْلَ والنَّهارَ والشَّمْسَ وَالقَمَرَ والنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ بأمرِهِ اِنَّ في ذلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُون* وَما ذرأَ لَكُمْ في الأَرْضِ مُخْتَلِفاً أَلْوانُه اِنَّ في ذلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَّذَّكَّرُون* وَهُوَ الَّذي سَخَّرَ البَحْرَ لِتأكُلُوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيّاً وَتَسْتَخرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها وَتَرىٰ الفُلْكَ مَواخِرَ فِيها

---

١) سورة النمل: الآية ٦٠ ـ ٦١.

وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ولَعَلَّكُم تَشكُرونَ* وَالْقَىٰ فِي الأرضِ رَواسِيَ اَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَاَنهاراً وَسُبُلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ*وَعَلاماتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُون* اَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ اَفَلا تَذَكَّرُون﴾ (١).

الله في خلق الانسان:

ورد بهذا الشأن ما يلي:

﴿لِلهِ مُلْكُ السَّمواتِ وَالأرْضِ يَخْلُقُ ما يَشاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشاءُ إناثاً وَيَهبُ لِمَنْ يَشاءُ الذُّكُورَ* أوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكراناً وَاِناثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشاءُ عَقِيماً اِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِير﴾ (٢).

كما نعرف أن نطفتي الرجل والمرأة تتكونان من مادتي الإنسان الأساسيّتين اللّتين تُدعيان بالـ (اسبرماتوزوئيت) وألـ (بويضات) (حيامن). وقد توصل علم الجينات الى معرفة الكثير من الأُمور في مجال علاقة الجينات بكيفية تكوين الجنين، حيث أنها مرتبطة بقوانين الخلقة العامّة وتابعة لمئات العوامل التي يرتبط كل منها بدوره ـ أيضاً ـ بعشرات ومئات العوامل الأخرىٰ، اي ترتبط بالنظام العام والمشيئة الإلهية، وكذلك هو عقم الانسان الذي يستعصي علاجه في بعض الاحيان (٣).

---

١) سورة النحل: الآيات ٣ ـ ١٧.

٢) سورة الشورىٰ: الآية ٤٩ ـ ٥٠.

٣) ينتج كل من الوالدين في جماع واحد (٢٤ كروموزوماً) ويوجد في كلّ واحد من هذه الـ(٤٨ كروموزوماً) مئات الجينات حيث ينتقل الينا كلّ ما يجب ان ينتقل وإلاّ لايمكن للنطفة التي تفتقر الى هذه الأمور ان تكون مبدأ للانسان. كما ان في تقارب بين الأب والأم المتوسطين السالمين يوجد ←

وقال تعالىٰ في كتابه الحكيم:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنا الإنْسانَ وَنَعْلَمُ ما تُوَسْوِسُ بِه نَفْسُهُ وَنَحْنُ أقْرَبُ إلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الوَرِيد﴾[1].

ويقول الشاعر الفارسي:

حبيبي أقرب اليّ منّي

والأعجب انني بعيد عنه

ماذا أفعل ومن يصدق ؟

ان الحبيب يحبني وأنا مهجور عنه

وجاء أيضاً:

﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ ماءٍ مَهين * فَجَعَلْناهُ في قَرارٍ مَكِين* الىٰ قَدَرٍ مَعْلُوم*فَقَدَرْنا فَنِعْمَ القادِرُون﴾[2].

ألا تدلّ هذه الآيات الكريمة علىٰ ارادة وقدرة وعنايته بالحياة اليومية للإنسان، حتىٰ في ضربات قلبه وإنفعالات أعصابه ومخّه؟ أوَليْست تثبت سِعة قدرة الله تعالىٰ وإرادته في جميع أنحاء نظام الخلق.

توحيد الله:

قال تعالىٰ في محكم كتابه:

← ألف مليون احتمال وأنا وأنت أحدها، وبعبارة اخرىٰ إنه يمكن أن يكون لك مليار أخ وأخت وكلهم يختلفون عنك إختلافاً كاملاً. (من كتاب: أنت والوراثة).

١) سورة ق: الآية ١٦.

٢) سورة المرسلات: الآيات ٢٠ ـ ٢٣.

﴿إِنَّ إِلٰـهَكُمْ لَـواحِـدٌ* رَبُّ السَّـمواتِ وَالأَرْض وَمـا بَـيْنَهُما وَرَبُّ المَشارِقِ[١] * إِنَّا زَيَّنَا السَّماءَ الدُّنْيا بِزِينَةِ الكَواكِبِ﴾[٢].

لقد وردت في القرآن الكريم، كما أسلفنا، آيات كثيرة فـي هـذا المـجال، وقد اكتفينا بالإشارة الىٰ بعضها هنا[٣].

ترىٰ ألا تدلّ هذه الآيات بوضوح عـلىٰ أن الله تـبارك وتـعالىٰ لا هـو فـي العالم أو خارج العالم، ولا هو في النظام، أو خارج النظام لأنـه واهب النـظام وربّ السموات والأرض وكل ما فيهما.

والآن أخبرني هل ستحل تلك العقدة أم لا؟

---

١) النقاط المختلفة للأرض أو الكواكب الأخرىٰ نسبة الىٰ الشـمس أو جـميع الكـواكب نسـبة الىٰ جـميع الشموس في المنظومات المختلفة للمجرات.

٢) سورة الصّافات: الآيات ٤ ـ ٦.

٣) للمزيد راجع سورة المؤمن الآية ٦٠ الىٰ ٦٨. سورة الزمر الآيـة ٤٢. وسـورة فـصلت الآيـة، ٥ الىٰ ١٢. وسورة النحل الآية ٨ الىٰ ٨٦. و....

الركن الثاني

في العقيدة الاسلامية

العدل

* * *

أيّ إلٰه عادل هذا ؟!

الطّـالب ـ حسـناً جـداً ، لقـد دخـلنا شـيئاً فشـيئاً بـعد كـل تـلك البحوث في المسائل الأساسية والمهمة ، وإنني مسرور لذلك ، ولا أعلم ان العقدة الداخلية التي جرّتنا الىٰ هذا الكلام ، هل ستحلّ أم لا ؟ إنني أتألّم كثيراً من هذه الحوادث والمصائب الفادحة بأنواعها المختلفة التي تصيب الانسان في كل يوم ، فبين مدة وأخرىٰ نقرأ في الصحف والمجلات ان مئات الآلاف من الناس قد دمرت بيوتهم وأصبحوا بلا مأوىٰ ، إنّني أتلوّىٰ من الألم حين أرىٰ ظواهر الإضطراب في الحياة والتفاوت الطبقي والظلم والتمييز ، إنني متأثر جدّاً لما يجري في مجتمعنا من جور وتعسف . أتحدث مع نفسي فأقول ما ذنب الناس الكادحين المتعبين الذين تصادر أتعابهم حفنة من الإقطاعيين ؟

ماذا فعلت الشعوب الضعيفة حتىٰ أصبحت تحت أنياب الدول الكبرىٰ ؟ ما ذنب هؤلاء المساكين الذين يصابون في كل يوم بالزلازل والعواصف والسيول والحوادث الأخرىٰ ؟ أي حياة هذه وأيّ خلق ؟ وكلّما أفكّر لايصل عقلي الىٰ نتيجة ما ، حتىٰ أكادُ أن أقول إن هذه هي مسيرة الحياة ، وعلىٰ الانسان ان يأخذ منها بما أُوتي من قوّة ، فليس هناك من عدالة ولا مساواة في البين .

ـ لاتتطرف ، وكن أكثر إعتدالاً ، فنظراً الىٰ ابحاثنا السابقة فانه من المسلّم

أنّ مايحدث في العالم له مبدأ ومصدر ويخضع لنظام وحساب، وسنناقش بالتدريج مسألة العدالة والمساواة لنرىٰ هل حقاً إن عالم الخلق ليس فيه نظم وعدالة ؟ أو ان الانسان بيده يجر المصائب والويلات لنفسه ويحترق في نار قد اضرمها علىٰ نفسه.

الطّالب ـ أرجوك، ليس في الأمر تشدد وإعتدال. إنني حقّاً أتألم ممّا أُشاهدهُ في ميدان الحياة، ولعلّي أجد في الكلام معكم ما تهدأ وتستقر به روحي فأُغيّر عقيدتي، فتكلم لأستفيد.

ـ في البداية لابدّ أن أذكر ان الظلم والتفاوت الذي أشَرْتَ اليه ومثّلتَ له علىٰ قسمين، الأوّل: خارج من إرادة الإنسان وإختياره، وليس لأفراد البشر فيه دور، كالسيول والعواصف والأمراض الفتّاكة والحروب الكبرىٰ.

والثاني: ما يسبّبه البشر بيده فرداً كان أو أُمّة كإنعدام الثّقة، وسوء الظن، والسرقات والاعتداءات وبعض الحروب.

ومن الواضح أن البحث عن كل قسم مستقل عن الآخر، وبالطّبع فإن البحث في القسم الأول المتعلق بنظام الخلق والخارج عن إرادة الانسان مقدّم علىٰ البحث الثاني.

والآن أسألك لأرىٰ هل إنّك تعتقد أن من الأفضل أن لايكون هناك زلزلة تدمّر البيوت وتخرّب الأحياء العامرة، ولايكون هناك سيل ولا عاصفة ولا مرض كالسرطان، أم انك تقول فلتوجد هذه الأمور لما فيها من ضرورات ومنافع، ولكن لتكن علىٰ نحو لايضرّ بالإنسان.

الطّالب ـ ماهو مقصودكم من ضرورة البلايا والمصائب ومنافعها؟ فأي ضرورة في مرض السرطان، وماهي الفائدة من وجود الجراثيم، وما المنفعة في الزلازل والسيول والعواصف؟

ضرورة الخلق:

ـ نعم، هنا يجب الإنتباه جيداً ومعرفة أن الخلق في غاية الإستقامة والدّقة والنظم. أمعن النظر جيداً لترىٰ أن الإيجاد والخلق في دنيا المادة مبتلٍ بقيود لايمكن التخلص منها، وكما يسمّونها لوازم وملازمات، بخلاف عالم المجرّدات والمعنويّات التي ليس فيها تضاد وتزاحم. ونحن نرىٰ هذا الأمر في حياتنا اليومية بشكل واضح، ففي كل عمل توجد لوازم لابدّ من القبول بها والإستسلام لها، مثلاً أنا وأنت نملك جسماً وبدناً، ولابدّ لهذا الجسم من الطعام واللباس والمسكن، فلو أردنا أن نحصل علىٰ اللباس مثلاً، فلابدّ لنا من أن نذهب الىٰ البزاز لنشتري القماش، ونرىٰ أنواعه وأسعاره ثم نواجه الخيّاط وما يتعلق به، وكل هذه الأعمال تحتاج الىٰ المشي والحركة وصرف الوقت، وفي سبيل أداء هذا العمل، هناك أُمور يواجهها الإنسان ولا علاقة لها باللباس، لكن الحصول عليه لايمكن بدونها.

كذلك عندما نريد أن نوفّر لأنفسنا بيتاً، فسنواجه عدداً من المشاكل والقيود وأكثرها لا ربط لها بالمسكن، لكنه لايتهيأ بدونها.

أضرب لك مثالاً آخر: إنّك متزوج وتودّ أن يكون لك ولد، وإذا تأخر الحمل تتأذىٰ كثيراً وتدعو حتىٰ يرزقك الله ولداً، فاذا رُزِقت تكون مسروراً

بشدّة لأنك أصبحت أباً، ثم ترىٰ الطفل يبكي، يصاب بالبرد والزكام، يمرض، احتاج الىٰ الطبيب والدواء، وعندما يكبر يحتاج الىٰ التربية، ويجب ان يذهب الىٰ الروضة ثم الىٰ المدرسة الابتدائية ثم الىٰ الثانوية، ويجب ان تفكّر بحياته ومستقبله، واذا كان الجو السائد في وقته مثل ما نحن فيه فسيحتاج الىٰ مراقبة واهتمام أكثر لغرض تربيته، هذه كلّها من لوازم الأبوّة، ولا مفرّ من التسليم والعمل بها.

أيُّ إرتباط ؟

الطّالب ـ قطع الكلام، وقال: ياشيخ ما علاقة هذه الأمثلة بموضوع نقاشنا؟ لاشك أن إعداد اللّباس والمسكن يحتاج الىٰ تحمّل المشاكل، وأن صيرورة الانسان أبا فيه أعباء وقيود يجب تحمّلها، لكن أين هذا من ضرورة الأمراض والسرطان، وضرورة السيول والعواصف ؟

ـ نعم، لو تسمح فإنني سأُبيّن لك من هنا مثالاً أكبر يوضّح لك الإرتباط، إنك تعلم أن الكرة الأرضية لما فيها من ظروف مناسبة صالحة للحياة، فلأجل كون سطحها بارداً وباطنها حاراً، ولأجل الأوكسجين الموجود في طبقة الاتموسفير، والهواء الذي يحيط بها، والماء الذي عليها، ولأجل المسافة التي بينها وبين الشمس، فهي ليست بعيدة بحيث يحصل البرد الشديد ولا قريبة بحيث تشتدّ حرارتها ولا تبق عليها رطوبة، كما ان هناك مئات العلل والعوامل الأُخرىٰ التي إرتبطت وتظافرت جميعها وجعلت الحياة ممكنة علىٰ سطح الأرض.

فهل يمكن لهذه الكرة الأرضية التي تمتاز بهذه المواصفات أن تكون كرة

ولا يكون لها مركز ولا محيط ؟ أو لايكون لها قطب ؟ أو تكون كرة ويكون جميع سطحها مواجهاً للشمس ؟ أو تكون في دورانها الوضعي والانتقالي ينتج منه الليل والنهار والفصول الأربعة، في حين تتمتع جميع أماكنها من أشعة الشمس بمقدار واحد ؟ أو أن ذلك لايمكن، فالجسم الكروي بطبعه يحتاج الىٰ مركز ومحيط وقطب وإستواء، وفيه مناطق معتدلة، وفي النتيجة سيكون الماء والهواء في كل منطقة متناسباً مع ظروفه، ويتبع ذلك النبات والحيوان، ولابدّ للإنسان أن يخضع لهذا القانون الطبيعي ويكيّف نفسه مع محيطه وبيئته الذي يعيش فيه[1].

الاختلاف أمر طبيعي:

وهنا نقول إن الإختلاف بين النباتات والحيوانات وأفراد البشر أمرٌ طبيعي وضروري تماماً، ومن هنا تُحل مشكلة العنصر واللغة وبقيّة الإختلافات في الصّفات الطّبيعية.

فالإنسان الذي يعيش في المنطقة الإستوائية يختلف عن الإنسان الذي يعيش في المناطق المعتدلة، فيختلفان في اللون والقامة والشكل والجسم، ويتبع ذلك الاختلاف في الأفكار والأخلاق والآداب والرسوم وهذا الاختلاف نراه من ضرورات الخلق ولوازمه، وهو عين الحكمة والعدل.

الشّمس تشعّ علىٰ سطح البحر، فيتبخر ماء البحر ويتصاعد الىٰ الطبقات

---

١) لاشك من ان المحيط أحد أقوىٰ العوامل المؤثرة في حياة كل موجود وحالاته، ولكن وكما ذكرنا سابقاً في بحث البيئة، ان ذلك ليس بمعنىٰ تغيير الماهية يعني ان الحيوان المائي يتحوّل الىٰ حيوان برّي أو بالعكس، أو الحيوان البرمائي يتحوّل الىٰ مائي أو بالعكس.

العليا في الجو ، وبسبب برودة الجو هناك يتحوّل البخار الىٰ ثلوج وأمطار وبَردٍ فينزل علىٰ الأرض الجافة فيُحييها ، فيخرج فيها النبات ويعيش الحيوان

وهذه الرحمة النازلة إذا ما هبطت علىٰ الجبال فبحكم قانون الجاذبية فإنها ستجري نحو السهول فتحدث الأنهار وتتصل فيما بينها لتشكّل تياراً قوياً من الماء ، ولعلّها تحدث في طريقها بعض الخراب والدمار .

فإشعاع الشمس وإختلاف درجة الحرارة علىٰ سطح الكرة الأرضية ، وإختلاف وزن الهواء بين منطقة وأُخرىٰ ، يسبِّب هبوب الرياح التي تكون أحياناً بشكل عواصف وأعاصير تحدث في طريقها الخسائر والدمار .

وهذا من ضرورات ولوازم نظام الخلق ، ويعتبر من العدل والحكمة .

الكلّ بنحو واحد :

فهل تقول : لو كان سطح الأرض بكامله مستوياً ، ولا يكون هناك منطقة إستواء ومنطقة قطبية ومعتدلة ، فتكون النباتات والحيوانات والناس كلّهم علىٰ نحو واحد ، فيتّحدون في اللون.والقامة واللسان الخ...

أو تقول : إن الشمس يجب ألّا تشعّ علىٰ البحر كي لاتحصل الأمطار والثلوج والسيول ولا يحصل الخراب والدمار .

أو تقول : لو أن شعاع الشمس كان علىٰ جميع مناطق الأرض بنحو متساوٍ إختلفت درجة الحرارة بين المناطق ، ولا يحصل سبب لحدوث العواصف وما ينجم عنه من خسائر .

وبما أن الأرض كُروية ، فإن أكثر من نصفها لايمكن أن يواجه الشمس ،

وبدونها لايمكن الحياة على النصف الآخر ، وبالحركة الوضعية والانتقالية التي تحدث في ظلّ قانون الجاذبية العام والقوّة الطاردة المركزية تتوفر أسباب الحياة لجميع مناطق الأرض ، وحينئذٍ يكون الإختلاف بين المناطق أمراً لابدّ منه ، ومن لوازمه الإختلاف في وزن الهواء وحركته وحدوث الرياح والعواصف وما ينجم من ذلك ، كل ذلك من لوازم خلق الأرض وظروف الحياة .

وإذا كان هناك ماء وشمس ورياح ومطر لأجل أن تتحقق الحياة، فان السيول والعواصف والزلازل أيضاً ستكون معها .

ضرورة الخلق:

وهذا هو معنى ضرورة الخلق ولوازمه ، كما أن أقصى فعل وانفعال يحصل في نظام الخلق له دور في صنع لقمة الخبز التي نأكلها أنا وأنت

والمسألة الأخرى التي لابدّ من ذكرها وإن تضمّنها كلامنا السابق، هي أن الخسارة التي تنجم من السيول والعواصف والزلازل، لو قيست الى الفوائد التي تحصل من مبادئ عللها فلا قيمة لها أصلاً، بل لاتعدّ خسارة ، وعلى أساس كل الموازين ، فإن الربح الكبير لايترك من أجل خسارة تافهة .

وهذا هو معنى قولنا إن مايجري في العالم هو عين الحكمة والعدل ، وما يكون بنظرنا خسارة وظلماً وتمييزاً وإضطراباً هو عين العدل والنفع والنظم ، وقد قيل انّ الحاجب ما كان أعوجاً ، والخلق كالشفّة والأسنان والعين والحاجب ، كلٌ في محله جميل .

فهذه من لوازم الخلقة البشرية التي لابدّ منها إذا أردنا منافعها، كما لابد لنا اذا أردنا الثوب أن نواجهه البزاز والخيّاط، واذا أردنا الطفل أن نواجه البكاء ومشكلات الحياة والتربية ..

الميكروبات لماذا ؟!

الطّالب ـ حسناً، لقد اتّضحت لي مسألة العواصف والزلازل وأمثالها، ولكن ماهي الضرورة لوجود المكروبات، وحدوث السرطان والأمراض الفتّاكة التي تؤدي بحياة الكثير من الناس ؟

ـ لو كنت قد دقّقت في كلامنا السابق، فإن جواب كل ذلك قد مرّ، فإن المكروبات والبكتريا والفايروسات كلها توجد وتعيش في ظروف معينة، وتنمو وتتكاثر في ظل قوانين منظمة، وبعضها تبقى حيّة في درجات حرارة إستثنائية، أو في برد شديد.

وكما تعلم فإن هذه الظّروف التي تحصل في نظام الخلق هي غالباً من لوازم وملازمات الخلق، ولكن هناك آلاف الفوائد والاسرار في خلقها والتي بدونها يكون الخلق ناقصة.

الطّالب ـ قال باستغراب: ياترىٰ وأيّ سرّ في خلق هذه المكروبات، وأي فائدة يمكن أن تكون فيها ؟

ـ أوّلاً وبشكل عام يجب أن أقول: أنستطيع انا وأنت أن نُحيط بجميع مافي الخلق إحاطة كاملة، ونطّلع علىٰ كل العلل والمعلولات، ومليارات الموجودات والعلاقات فيما بينها وصفاتها، حتىٰ يمكننا أن نقول إنها عديمة الفائدة ولا جدوىٰ لخلقها ؟ فليس من الصحيح أن نحكم علىٰ شيء

إعتماداً على نظرتنا اليه والى أثره في وقت معين.

وأقول بنحو عام أيضاً إنّه قد اتّضح من قبل أن مصدر الوجود والواهب له كما أنه نفس التحقق وعين العلم والحكمة ونفس الإرادة والقدرة، وكما اننا مع ما نملكه من علم وإرادة محدودتين، فإننا نسعى ان لانقوم بعمل لَغْوِيٌّ لا فائدة فيه، بل في النظر العلمي يجب القول بأن الفاعل العالم المريد لايمكن أن يصدر منه الفعل اللغويُّ أبداً.

فهل يمكن القول انّ خالق العالم والواهب للحياة ومن هو عين العلم والحكمة قد خلق بعض الأشياء لغواً بغير فائدة، والدليل على ذلك أننا لانرى فائدتها ؟!

إن الموظّف في مؤسسة معيّنة لو أُرسل في مأمورية معيّنة لايعرف الهدف منها، أيمكنه أن يقول أن هذا العمل لغوٌ وتافه، أم أنه يقول إن رئيس المؤسسة رجل عاقل عالم، وهذا الأمر فيه فوائد، ولكنني لا أدركها.

لنترك هذه الكليات جانباً، فأنت قد دخلت عالماً فسيحاً عن طريق تعرّفك على هذه الميكروبات، كما انك حصلت على صنع اجهزة متطورة لمقاومة مختلف الامراض بفضل الاطلاع على تركيبتها، وأخيراً فقد حصلت على فوائد جمّة عن طريق هذه الاحياء المجهرية.

النّتيجة:

وبنحو موجز نقول: إن حياة مئات الآلاف من أنواع الحيوانات كالمكروبات والبكتريا والفايروسات جزء من نظام الخلق العام، وهي عين الحكمة والعدل. وأمّا مواجهتها للإنسان فيما لا قدرة له عليها، وما ينجم عنه

من خسائر، فهو من ضرورات ولوازم الخلق التي تم توضيحها. والقسم الثاني يدخل تحت اختيار الانسان وسنتكلم عنه في البحث المقبل ان شاء الله تعالىٰ.

الطّالب ـ نعم بهذه الطريقة من النظر الىٰ العالم التي بحثت عرفنا أن الانسان جزء صغير من النظام العام للخلق الذي يتحرك وفق قوانين ونواميس ثابتة، كما عرفنا ولو بنحو عام تلك الحكمة والعلم والإرادة الموجودة في مبدء الكون ومفيضه، ولابدّ من الإذعان لمثل هذه المسائل، والقبول بالعبارة القائلة: ان لاشيء حدث ويحدث بدون حكمة. وهذا كلّه في القسم الخارج عن إرادة الإنسان واختياره، والآن أطلب أن تبيّن لي شيئاً حول القسم الثاني.

ـ نعم بالنسبة الىٰ الأشياء في القسم الثاني التي تتألم منها، أعني الظلم والجور والتفاوت الطبقي والتمييز، فهذا حاصل بسبب الانسان نفسه وبإرادته وإختياره، ولو تسمح لي أن أبدأ الموضوع بطرح سؤال أو سؤالين.

الطّالب ـ أرجوك، تفضل فاننا قد وقعنا في اسئلتك لأجل سؤال واحد سألناه إياك، ولكنني سعيد جداً لأن المباحثة تجري بنحو مطلوب وبعيداً عن الغضب والإنزعاج.

ـ تفضل، لأرىٰ هل إنك تعتقد أن الناس لو كانوا يُخْلَقون علىٰ نحو بحيث لايظلم أحدهم الآخر، ويعيش كلُّ أحد منهم في حدوده لكان أفضل؟

وتعتقد أن الناس لو كانوا في مستوىٰ واحد، وبدرجة واحدة من القدرة ومزايا الحياة لكان هو الأفضل؟

الطّالب ـ بدا عليه الإرتياح، وقال: كأنني وجدت من يشاركني أفكاري، نعم لو كان كذلك لكان هو الأحسن.

ـ يعني أنك تقول: إن الناس لو كانوا يخلقون على نحو معين بحيث لايستطيعون الظلم والعدوان، أو انهم يستطيعون ولكن لايفعلون؟

الطّالب ـ قال وقد قطب حاجبيه دلالة على دقّته في الكلام: رجاءً زدني بياناً، فلم أدرك المسألة جيداً.

ـ نعم، غرضي أنك تقول أن من الأفضل أن يكون الناس كباقي الموجودات مجبورين على اداء وظائفهم الطبيعية؟

أو أنهم يكونوا على ما هم عليه، ولكن لايتعدى أحدهم على الآخر؟

يعني أنك تعلم أن الشّمس لاتستطيع أن لا تشعّ الضياء، والقمر لايستطيع أن لايدور حول الأرض، والأرض لا تستطيع أن لا تواصل حركتها الوضعية والانتقالية. كما أن المكروب أو البكتريا لايستطيع أن يتوقف عن عمله شاء أم أبى، بل لابدّ له من أن يقوم بعمله هذا.

فأنت تريد ان يكون الانسان مثل هذه الموجودات كالحاسبة أو المولّد الكهربائي أو المرجل البخاري، أو قلم الحبر، لايستطع أن يؤدي عملاً غير الخير والاحسان، أو ان يكون مختاراً، ولكن الجميع يكونوا عادلين مستقيمين لايظلم أحدهم الآخر.

الطّالب ـ تهلل وجهه قليلاً، وقال: لو كان يخلق هكذا فما الضير في ذلك؟ ولو كان مثل بقية الموجودات يعمل بوظيفته ألم يكن هو الأفضل؟

ـ نعم هو أفضل في رأيك، ولكن حينئذٍ لايكون إنساناً ولا يبقى للحسن والقبح معنىً، أي انك في تلك الحالة لم تكن تستطع أن تقول أن هذا الانسان عَمِل عَمَلاً حسناً، لأن الانسان الذي لايستطيع ان يعمل عملاً سيئاً فكذلك لايستطيع اداء العمل الحسن، لأن القدرة لها طرفان.

أفتستطيع أن تقول ان كريات الدم البيضاء عندما تواجه المكروبات الداخلة للجسم قد فعلت فعلاً حسناً، وان المكروبات قد قامت بعمل سيئ أم؟ ان كلاً منهما قد قام بعمله، وأنّ الخير والشر برأيي أنا وأنت.

الطّالب ـ لو توضّح لي أكثر من فضلك.

ـ نعم، إن مقصودي أن الانسان لو كان كالماكنة الاوتوماتيكية ولم تكن لديه إرادة وإختيار، وكان مجبوراً على سلوك طريق الإحسان أو الإساءة، فحينئذٍ لا معنىٰ للاحسان والإساءة، ولايمكن ان نتصور لأفعال الانسان حسناً وقُبْحاً.

وعندئذٍ لايغلق باب التكامل الى الدرجات العليا الذي يمكن في ظل الإختيار فحسب، بل حتىٰ إن قدرة التمييز وفعالية القوّة العقلية عند الإنسان ستكون لغواً وعبثاً. وعلىٰ الأنبياء والفلاسفة أن يغلقوا أبوابهم ويجمعوا بساط التوجيه والإرشاد، ولكانت حياة الإنسان حياةً جافة ميّتة كحياة النباتات والحيوانات تسير في إتجاه واحد، ولما أمكنك أن تقول ما ذنب هذه الفتاة البريئة التي تقع تحت أنياب هذا الماجن المجرم، بل إن الذنب لا معنىٰ له، كما ان البراءة لا معنىٰ لها، فإن كليهما قد أُجبرا علىٰ هذا الأمر.

نعم، فالإنسان في هذه الحالة يكون كبقية أجهزة وآلات معمل الطبيعة ونظام الوجود، يقوم بوظائفه في دائرة الإجبار، ويكون دائم العمل في إتجاه واحد، ويبقىٰ ثابتاً في درجة واحدة، ويكون له تكامل طبيعي كبقية الموجودات في تكاملها كما في الجمادات والنباتات.

الاختيار:

لكـــن الإنســـان فـــي وضـــعه الحـــالي حـــيث يســـتطيع ان يـــحـــسـن فبامكانه أن يسيئ، وحيث يستطيع أن يعمل فبامكانه أن يَخْمل وَيكْسل، وحيث أنه يستطيع ان يجدُّ ويجتهد ويُتْعب نفسه فبامكانه أن يخلد الى الرّاحة والدّعة ايضاً، وبالنتيجة فلأنه يستطيع، فقد حصل على وسام مكّنه من أن يسلك طريق التكامل الخاص، فتراهُ يسخّر جميع الموجودات لخدمته ومنافعه، ومع كل ما يحدث من ظلم وإنحراف وتمييز على حدّ قولكم، فان نوع الإنسان لم يفقد تكامله السريع نحو الفضائل الخاصّة به، وقد سلك طريقه الى درجاتها العالية وتمكن أن ينال بعضها.

فالمسألة لا تختص بزيد أو عمرو، لنحكم على أشخاص معيّنين، بل يجب النظر الى النوع الإنساني في نظام الخلقة الواسع.

في كل شيء حكمة:

وبعبارة أخرىٰ وكما مرّ في الأبحاث السابقة، فإن العلوم البشرية قد تطورت وتمكنت أن تستخدم مقاييس وموازين ظهرت بها الحكمة والدقة الفائقة في نظام الخلق من الكواكب والمجموعات الشمسية الى ذرات الأجسام الأرضية، ومن عدد البروتونات والنيوترونات في المركز [النواة] والالكترونات المحيطة في أنواع العناصر الى نظام الحياة في الأحياء ذات الخلية الواحدة، بحيث لو أردنا ان نستبدل أحداً بالآخر فإن كل النظام سينهار بنحو مفجع، وفي عالم النباتات والحيوانات حسابات أدقّ

وأظرف، وكلما يكون الموجود أكثر لطافة تكون حساباته أدقّ، حتىٰ نصل الىٰ الإنسان الذي قلنا أنه إضافة الىٰ القوانين الدقيقة التي تحكم بناء هيكله الجسمي، فانه يملك أعظم وسام ألا وهو الإرادة والاختيار[١]، والذي به يصل الانسان الىٰ الكمال، وبدونه لا الانسان انسان ولا الوصول الىٰ الكمال ممكن له[٢].

الطّالب ـ وهو يستمع بدقة وانتباه شديد وحيث لم ينقدح في ذهنه أيّ اشكال، قال: حسناً جدّاً، إنك تقول إن الانسان خلق مختاراً لكي يمكنه ان يسلك طريق التكامل نحو الدرجات العالية، ولتظهر قيمته الإنسانية التي هي في نظرك أعلىٰ المظاهر الإلهية، ولو كان الانسان مجبوراً علىٰ طريقةٍ معينة لما أمكنه بلوغ الكمالات، ولما كان للحسن والقبح، والهداية والضلالة، والثواب والعقاب، مفهوم ومعنىٰ.

وكما قال الشّاعر الفارسي:

لو لم يفرّق الانسان بين الحسن والقبح

لما إستحق الفضل علىٰ الحيوان

أكرِّر ثانية، اي ذنب؟

فكل الذي قلته صحيح، لكن بالنتيجة ما ذنب تلك الفتاة

---

١) إن من أعقد المسائل الفيزيولوجية للمخ هي مسألة إشتراك وتعاون الخلايا المختلفة عند التفكير والإرادة والانتخاب. «تراجع الكتب العلمية»

٢) قال تعالىٰ في محكم كتابه الكريم:

﴿وقال الّذين إتّبَعُوا لَوْ أنّ لَنا كَرّةً فَنَتبرّءَ مِنْهُمْ كما تَبَرّؤا مِنّا كَذلِكَ يُريهِمُ اللهُ أعْمالهم حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ وَما هُمْ بِخارجين مِنَ النّار﴾. (سورة البقرة: الآية ١٦٧).

البريئة التي تقع في مصيدة ظالم ماجن فاسق ؟ وما ذنب كل هذه الأعداد الكبيرة من الضحايا واللاجئين التي تسببها الحروب الصغرىٰ والكبرىٰ ، وما هو تقصير هؤلاء المساكين ، وبالنتيجة أي عدالة هذه ؟

ـ أعتقد أن الجواب قد إكتمل جيداً ، إذ يتضح بالنظر الىٰ الأمور المذكورة أن المسألة مسألة البشرية كلّها ونوع الانسان لا هذا الفرد وذاك، وبالطبع فإن طريق وصول النوع الىٰ غايته يمرّ بلوازم وملازمات وعقبات ولابدّ من المرور عليها وتحملها ، فانت اذا أردت ان تزرع فاكهة وترسل محاصيلها الىٰ السوق لبيعها ، ففي هذا الطريق كم من شجرة تموت بسبب الحرّ أو البرد أو الرطوبة أو الآفات والحشرات أو الحيوانات .. فهناك مشكلات في طريق وجود هذا البستان ، ولكنك تزرع هذا البستان ، وهذه الخسائر لاقيمة لها إذا ، قيست الىٰ نوع الأشجار ، إذ يحسب لها حساب أبداً .

النّتيجة لا الذّنب

كما أن هناك جواباً آخر يتعلق بالأفراد ، وهو أن الفرد إذا كان هو المقصّر من حيث أنّه هو الذي أوجد مقدمات المصائب والأذىٰ والحروب ، فهو يرىٰ نتائج عمله ، والعدل يقتضي أن تكون العلاقة قائمة بين العمل ونتيجته[1] ، كالإنسان الذي يَتْخم من الطعام ، فيكون ألم المعدة والمرض

---

١) يقول القرآن الكريم: ﴿إنْ أحسَنتُمْ أحْسَنتُمْ لأنْفُسِكم وَإنْ أسَأتُمْ فَلَها...﴾
سورة الاسراء: الآية ٧.
وفي موضع آخر يقول تعالىٰ: ﴿...إنَّ الله لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّىٰ يُغَيِّروا ما بِأنْفُسِهِمْ...﴾
سورة الرعد: الآية ١١.

نتيجة طبيعية لعمله.

ولكنه لو وقع في الفخ بغير تقصير منه، فهذا يُعدُّ من الناحية النوعية وبشكل عام من لوازم الخلقة، أمّا من الناحية الفردية فهو مظلوم والذي سبب له هذا الوضع ظالم، ولا يضيع حقّ المظلوم وعقاب الظّالم.

الطّالب ـ حسناً جدّاً، مع أننا نرىٰ في حياتنا أن كثيراً من الظالمين لم يعاقبوا علىٰ ظلمهم، وكثيراً من المظلومين لم يستردوا حقّهم، فما معنىٰ ذلك؟ ويبقىٰ السؤال المطروح في مكانه وهو: أيّ عدالة هذه؟

ـ إن الطريق واضح، حيث أولاً: في هذا العالم توجد قوانين وأنظمة طبيعية ومقررات وأحكام اجتماعية تعاقب الظالم، وبالنهاية فلا عمل ينفصل عن نتيجته وعاقبته. وثانياً: حيث أننا قد عرفنا الله الحكيم العالم العادل، وإعتقدنا في نهاية هذه الحياة بيوم يسمىٰ يوم القيامة يظهر فيه العدل المطلق، فنحن نعتقد أن كل هذه الاشكالات ستحل هناك.

الطّالب ـ بهذا النحو، فنحن لازلنا نحتاج الىٰ بحوث أخرىٰ حول القيامة وما معناها، وماهي الضرورة من الإعتقاد بذلك اليوم؟

ـ نعم إن شاء الله سنصل الىٰ مسألة القيامة والمعاد، فمن كانت نظرته الكونية الىٰ العالم أنّ له مبدأً، فالمعاد يتبعه، حيث أن بداية ونهاية كل فصل يحيطان به، وإذا نظرنا الىٰ الخلق وبحثنا فيه وعرفنا أن له بداية ومصدراً، فبالطبع يجب ان نعرف عاقبته ونهايته، وهذا ما سنتكلم فيه في المستقبل إن شاء الله تعالىٰ.

الطّالب ـ من كلامكم حول القيامة يظهر أن هناك مسائل أخرىٰ مقدمة علىٰ بحث القيامة، ولكني أقول صراحة أني قد تعبت، فأرجو أن تسمح في

إكمال بقية البحث في فرصة أُخرىٰ..

العدل، لا المساواة:

ـ حسناً جداً، لا مانع من ذلك، لكن هناك مسألة أساسية متبقية من بحث العدل لابدّ من الإشارة اليها، وهي أن العدل غير المساواة، فالعدل معناه أن يوضع كل شيء في مكانه المناسب، ويُعطىٰ كل شيء بمقداره، والمساواة معناها أن يعطىٰ جميع الأفراد مقداراً واحداً ويكونون متساوين من جميع الجهات. والمساواة ترتبط بالمسائل الحقوقية والقانونية، أمّا العدل فيرتبط بالخَلْقِ والإيجاد. وفي جعل ووضع القوانين والحقوق والمكافئات والعقوبات توجد هناك إختلافات وبحسب ما تقتضيه الموارد، فالعدل في الخَلْق يقتضي خلق الارض بنحو يختلف عن خلق الشمس، وحياة النبات غير حياة الحيوان، والحيوان يختلف عن الإنسان، والعدل في القانون والحقوق والواجبات يقتضي ان تختلف الأحكام بإختلاف الظروف، فالغني والفقير والعالِم والجاهل والرجل والمرأة لهم أحكام مختلفة، كما أن العدل في الجزاء يقتضي أن يختلف الأشخاص الذين لهم حالات مختلفة، في استحقاق العقاب والثواب.

وبذلك يتضح أن العدل أصل التناسب والاختلاف، والمساواة تقتضي التساوي، وأكثر الناس خلطوا بين المفهومين وأوغلوا في الاشتباه، حتىٰ صرت تقول: لو أنّ الناس كانوا جميعاً في مستوىً واحد فما الضير في ذلك؟

المطلوب هو العدل لا المساواة، تصوّر مثلاً لو أنك تريد أن تشيّد بناية

لتسكن فيها وهيأت خارطة البناء التي تناسب الأرض ، وأعددت مواد البناء ولوازمه ، وهنا يأتي البنّاء ليبتدأ عمله فيضع قسماً من الطابوق في الأساس ، ويضع البعض الآخر في وسط أو أعلىٰ البناء ، ويضع قسماً في غرفة الإستقبال وقسماً للحمام والمطبخ أو دورة المياه والمغاسل . وهنا لو نظرنا نظرة فردية لكان من حق بعض الطابوق أن يعترض ويقول : ما ذنبنا نحن حتىٰ نوضع في أساس البناء ونتحمل كل هذا الضغط الشديد ، أو نوضع في اماكن غير محترمة ؟! وما فضل الآخرين علينا حتىٰ يوضعوا في أعلىٰ البناء ، وفي الأماكن القليلة الضغط ، أو في غرفة الاستقبال والأماكن المحترمة من البيت ؟!

فهل يجب هنا مراعاة العدل ، أم المساواة ؟ وهل تضع الطابوق كلّه في مكان واحد ؟ أم توزعه علىٰ أقسام البيت طبق المرسوم في الخارطة وبما يناسب احتياجات البناية ؟ اذ ان البناية بدون مطبخ أو مخزن أودورة مياة تكون ناقصة . وإذا أردنا أن تكون البناية كاملة ، فلابدّ من أن نستخدم قسماً من مواد البناء في الأماكن غير المحترمة ، والذي يخطط لبناء عمارة لاينظر الىٰ آحاد الطابوق ومواد البناء ، بل ينظر الىٰ مجموع البناء . واذا ما لوحظت كل الحاجات في خارطة البناء ، كان المهندس والمعمار والبناء أفراداً ذوي تفكير صحيح وسليم ، وإلّا فسيعترض الناس عليهم ويستقبحون فعلهم .

وفي النظام العام للخلق لايُنظر الىٰ آحاد الحجر والنبات والحيوان والانسان ، بل يُنظر الىٰ مجموع الوجود وأنواع الموجودات ، والعلاقات القائمة بينها ، والأفعال وردود الأفعال التي تحصل فيما بينها ، والغرض الأصلي من خلق الموجودات ، فهل يتحقق بهذه الكيفية من الخلق أم لا ؟

لكن أنا وأنت في أغلب الأحيان ننظر الىٰ هذا الشخص وذاك، وهذا الموجود وذاك، فتظهر أمام عيوننا المصائب والحوادث والحالات غير الملائمة، فنقول: أي خلق هذا، وأيّ إلٰهٍ وأيّ عدلٍ؟

وأضرب لك مثلاً آخر، فلو أردت ان تشتري لأطفالك بمناسبة العيد ثياباً وأحذية وجواريب، فلاشك أنك ستنظر الىٰ إختلافهم في الطول والجنس، وتشتري لكل منهم بما يناسبه، والذي يقول لك إشترِ لجميعهم ثياباً متشابهة في اللون ومتساوية في الطول وذات شكل واحد رعاية للمساواة، فإنك ستضحك علىٰ عقله وسخافة تفكيره، وتقول له: إن الطفل الذي عمره خمس سنوات يختلف عن الطفل الذي عمره ثمان سنوات، ويجب أن يُعدُّ لكل منهما من اللباس ما يناسبه، وإن كانوا متساويين في إستحقاق شراء اللباس لهما.

وبنحو موجز إن العدالة هي أن يوضع كل شيء في محله وبمقداره المعيّن بواسطة المقاييس والحسابات العلمية والحكمة.

العدالة في مراحلها الثّلاثة:

إننا نعتقد أن الله تعالىٰ عادل في الخلق، كما أنّه عادل في التشريع وجعل الأحكام والقوانين، وكذلك هو عادل في الجزاء والعقاب في خاتمة العالم، وهي المسألة التي أثرتها.

الطّالب ـ العجيب أننا كلّما تقدمنا الىٰ الأمام كلما اتّسع البحث، فمع أننا أردنا أن نُنهي الكلام علىٰ أمل أن نُفرد يوماً للبحث بنحو مستقل عن مسألة القيامة وعقاب الظالمين وإسترداد حق المظلومين، ولكنك أضفت الىٰ ذلك

مسألتي العدل في التشريع والعدل في الخلق، وكل هذه الأقسام الثلاثة ترجع الىٰ أصل واحد ، والعدل في الخلق هو نفس النظم والقانون تقريباً ، والذي سبق الكلام عنه مفصّلاً ، ولكن ما المقصود من العدل في التشريع ؟

رواية عن الامام علي عليه السلام :

إسمح لي وقبل أن نجيب علىٰ هذا السؤال الذي سيجرنا الىٰ بحث أساسي ومفصّل ، ان أذكر عبارة قصيرة وجامعة من الوجود الطاهر لأول إمام من أئمتنا الأطهار علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقد لخّص فيها التوحيد والعدل :

قال علي عليه السلام: «**التوحيد أن لا تتوهَّمه ، والعدل ان لاتَّتهمه**»[1].

---

١) نهج البلاغة ،قصار الحكم / ٤٧٠.

الركن الثالث

في العقيدة الاسلامية

النبوّة

* * *

النّبوّة والرسالة:

إنها المسألة التي أشرتَ فيما سبق أنها مقدّمة على بحث القيامة، وهي النبوة والرسالة، ومكانة الأنبياء والرسل في نظام الحياة الإنسانية.

الطّالب ـ إن الإنسان بقدرته الفكرية والعقلية يستطيع جيداً ان يشخّص منافعه ومضاره، فلا حاجة الىٰ الأنبياء، وإذا أردتنا أن نتكلم بلغتنا فنقول: ان نظام الخلق قد وضع في الإنسان قوّة يستطيع بواسطتها أن يهتدي الىٰ سعادته، وهي التي نعبّر عنها بالوجدان والإدراك الباطني، وأوضح شاهد نستطيع أن نأتي به هو حضارة الشعوب التي لا تعتقد بأيّ دين، وهي اليوم تعدّ من الشعوب المتمدنة والراقية في العالم.

ـ هذا صحيح والحق معك الىٰ حدٍّ ما، حيث أن الله سبحانه أودع في باطن الانسان قوّة تساعده علىٰ معرفة طريق السعادة، ونحن نريد ان نعرف بواسطة هذه القوّة هل هناك حاجة الىٰ الأنبياء أم لا؟ وهل حقّ ان الانسان يستطيع ان يصل بنفسه الى السعادة الكاملة أم لا؟ وسنصل فيما بعد الى الشاهد الحي الذي ذكرته ونرىٰ هل حقاً ان الامم المتمدنة والمتطورة بنظرك قد حققت لنفسها السعادة؟ أم انّه ليس سوىٰ سراب جذاب؟

القوّة الباطنية :

ان هـذه القـوّة التـي أوجـدها فـي الانسـان مَـن تـعبّر عـنه بـالطبيعة ونحن نسميّه ربّ العالم ، هي قدرة التشخيص والتمييز والعقل .

فهل حقّاً ان الرؤية العقلية واسعة بحيث يمكن بواسطتها معرفة جـميع المصالح والمفاسد في الحياة وتُـدرك كـل الطـرق المـؤدية الى الربـح والى الخسارة ؟

وهل حقّاً انّ كل فرد يتمكن أن يدرك المـنهاج الذي يـجب أن يـتّبعه كـي يحقق لنفسـه السـعادة ؟

الطّالب ـ صـحيح أن عـقل كـل فـرد ليس له تـلك القـابلية لإدراك جـميع المصالح والمفاسد بنحو كامل ومـن جـميع الجـهات ، ولكـننا نـعلم أن فـي المجتمعات افراداً أقوياء وممتازين في قدرتهم العقلية وبـالطبع فـان النـاس يختارون هؤلاء ويرجعون اليهم في مشكلاتهم وفي معرفة الطريقة الصحيحة للحياة ، واولئك ايضاً يطرحون للـناس آرائـهم إمّـا بـعنوان عـقائد ومـذاهب فلسفية وعلمية أو على نحو التعاون والتشـاور وبـذلك يـتم جـبران النـقص وضعف القابلية العقلية عند بعض الاشخاص .

وبعبارة أصـح ، ان الحـياة الانسـانية اجـتماعية ، حـيث لابـدّ لافـراد بـني الانسان أن يتعاون أحدهم مع الآخر لسـدّ حـوائـجهم . ولابـدّ مـن أشـخاص يتصدون لادارة شؤون الناس من وضع القوانين وتنفيذها ويُنتخب لهذا الأمر أفـراد يـتمتعون بـالكفاءة المـناسبة ، وبـهذا النـحو فـان ذوو العـقول القـوية واصحاب العلم والتجربة يتولون منصب التقنين ، وتنفذ احكامهم بـواسـطة الحكـومات ويـقوم الجـهاز القـضائي بـمتابعة المـتخلفين ، وبـذلك تـتوفر

للمجتمع حيات مريحة وآمنة.

للأطمينان:

حسناً جداً بناءً على ذلك فانت تذعن بأنّ عقول الأفراد العاديين والمتوسطين الذين يشكّلون أكثرية المجتمع الانساني لاتكفي لمعرفة الطريق الصحيح لتأمين مصالح الحياة.

ويبقى ارشادات ونصائح الفلاسفة الذين هم الأفراد الممتازون في المجتمع وكذلك الأجهزة التقنية [التشريعية] وهم المنتخبون من قبل الناس.

فامّا الفلاسفة والعلماء فعندما ننظر الىٰ مذاهبهم وعقائدهم وارشاداتهم نرىٰ انّها لم تكن دواء شافياً وليست طريقاً مطمئناً للسلوك والاتباع، وذلك لما نرىٰ من الاختلاف الشديد الموجود بينهم والتضاد في الآراء، فمثلاً نرىٰ مجموعة منهم يفكرون تفكيراً مادياً بحتاً ويرون ان طريق السعادة الوحيد هو الاستفادة من أحسن الطعام والشراب واللباس ومجموعة أخرىٰ تنظر الى السعادة بنحو آخر وترىٰ اهمية القضايا الاخلاقية والعاطفية و ... في تحقيقها.

والآن لنتسائل هل أن كليهما علىٰ حقّ ؟ لاشك ولا ريب انّ أحدهما علىٰ خطأ لأن كلاً منهما يقف مقابل للآخر، لكن مَن هو الصحيح ؟ غير واضح.

نحن نعرف انّ آخر منزل للسعادة يقع في نهاية أحد الطريقين المختلفين، وإنّ سلوك أحدهما ليس فقط لايوصلنا الىٰ الهدف المنشود بل يبعدنا عنه، ففي أيّهما نسير ؟

الأنبياء كذلك:

الطّـالب ـ وهـو يسـتمع بـدّقة وتـظهر عـلى وجـهه غـالباً عـلامات التصديق والقبول ، قطع الكلام وقال : قوانين وشرائع السماء كذلك مختلفة ، فالأنبياء والرسل جاءوا بأديان مختلفة وهذا الاشكال يـرد عـليهم أيـضاً ، أي إنّنا لانعلم أي الأديان هو الصحيح؟

ـ كلا وأبداً ، فليس بين الأنبياء والرسل اختلاف ، واذا عرفنا مسألة ضرورة النبوّة فسنعرف بِمَ يمتازون عن الفلاسفة ، وبالنظر الدقيق يـجب نـقول : ان ليس هناك اختلاف بين الانبياء وكلّهم دعوا البشرية الىٰ هدف واحد .

ومهما كان فانّ الفلاسفة والعلماء من حيث أنـهم مـتضادون فـي آرائـهم ويسيرون باتجاهين مختلفين فلا نستطيع ان نتبعهم ، لاننا لانعلم أيّهم يقودنا نحو السعادة.

وأمّا الأجهزة التشريعية والمنتخبين من قبل الناس فأوّلاً : نـحن نـعلم ان التنافس السياسي والمعارك الانتخابية وحتىٰ في أكثر البلدان تمدناً في عـالم اليوم يدور على محاور معينة تـؤدي الىٰ فـوز الأفـراد أو عـزلهم وابـعادهم ، فهناك أيادي وقـوى مـحرّكـة تأتـي بـالأفراد الى المـجالس والبـرلمانات أو تمنعهم من الوصول .

اضـافة الىٰ ذلك فـان مـا قـلناه حـول الفـلاسفة يـرد هـنا أيـضاً ، فـالدول الشيوعية لها نظام حكومة وقانون وقضاء والدول الاشتراكية لهـا نـظام آخـر ولكل منهما اتباع ، وعقل كل انسان يقول ان أحدهما علىٰ خـطأ ولكـن ليس واضحاً ايّهما هو المخطئ ؟ فكلاهما ليس طريقاً مـطمئناً نسـتطيع أن نـعتمد عليه .

اشارة مهمة:

وهناك مسألة مهمة أُخرىٰ وهي انّ في داخل كل انسان قوتين متقابلتين فكما ان له عقلاً وقوّة تشخيص فكذلك له غرائز واهواء تجرّه اليها في ما يقابل العقل وتسمىٰ الجهل[1] أو الشيطان أو الشهوة.

كما إننا نعلم أن تشخيص ومعرفة طريق السعادة لايكفي لوحده لاختيار العمل، فالقوّة العملية في الانسان لها موازين أُخرىٰ، أُنظر مثلاً الى كثير من الناس يعلمون ان السجائر مضرّة بصحتهم ولكنهم يدخنون، الكحول هي أيضاً خطر عليهم ولكنهم يتعاطونها.

فاذاً كيف يستطيع من لايحفظ نفسه من الغرائز والميول والاهواء أن يضع للآخرين القوانين الكفيلة بتحقيق السعادة الواقعية؟ وحتىٰ عن طريق العقل[2] وخاصة في المجتمعات ذات الأجواء الملوّثة التي تترك أثراً حتىٰ علىٰ مَن هم في أعلىٰ درجات العلم والتجربة، وقليل جدّاً مَن يستطيع أن يسير في الجهة المخالفة للبيئة المحيطة به ويلتزم بالمقاييس العقلية الصحيحة.

الطّالب ـ ماهذا الكلام، إن كلّ انسان يتأثر شيئاً ما بالمجتمع والبيئة المحيطة به، ولعلّ الأنبياء أيضاً كذلك وهذا لايوجب إنعدام الدّرك والفهم الانساني ؟!

---

١) كلمة الجهل وردت في الكثير من الآيات والروايات بهذا المعنى وهي قوة لها جانب ايجابي وليست بمعنىٰ عدم العلم، مثلاً «قال أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين» حول موسىٰ عليه السلام في ذبح البقرة، وكذلك أكثر روايات باب العقل والجهل في الكافي بهذا المعنىٰ. فراجع.

٢) فهناك قوانين مخجلة حتىٰ في بلد مثل بريطانيا كقانون إباحة الجنس المماثل وسقط الجنين وامثال ذلك، فجعل مثل هذه القوانين يدلّ على التبعية للغرائز والميول.

ـ أوّلاً: يجب ان نعلم أنّ الأنبياء والرسل الإلٰهيين يتمتعون بحصانة خاصة يطلق عليها العصمة ، وسنتحدث عنها في فصل مستقل ، واضافة الى ذلك فانهم كانوا يسيرون دائماً خلافاً للأجواء الحاكمة ، بل كانوا يصنعون الاجواء ويصلحون الأساليب والمسالك الخاطئة .

وأمّا حول اولئك المتأثرين بالظروف المحيطة فنحن لم نقل انّ ادراكهم وفهمهم ينعدم بالكامل ، بل ان غرضنا هو انّ هذه القوانين التي توضع تحت تأثير المحيط والاهواء يُطمأن اليها ولا يُتعمد عليها، واذا كانت صحيحة فهي مختصة تلك الظروف لا للنوع الانساني في جميع الظروف والأمكنة .

يعني انّ مانريد أن نقوله هو انّ الانسانية تحتاج الى قائد الهي من أي قارة كان وفي أي زمان عاش ومهما كانت الظروف والاوضاع .

وأمّا تأثير الظّروف الزّمانية والمكانية علىٰ القوانين مثل القوانين الصّحية والتّجارية والمواصلات و .. فهذا مما لاينكر ولكل حالة يجب جعل المقررات المناسبة لها وقد لاحظت الشّرائع الالهية عامّة والاسلام خاصّة هذا الأمر ووضعت لهذه التغيرات أصولاً عامة تتفرع منها مقررات تنظيمية لكل الحالات ، وسنتحدث عن ذلك في المستقبل إن شاء الله تعالىٰ[1].

الطّالب ـ بناءً علىٰ الذي تقول فلا عامّة الناس ولا الفلاسفة والعلماء يستطيعون الاعتماد علىٰ عقلهم وفهمهم وعلىٰ الجميع ان ينتظروا الأنبياء ويكونوا لهم آذاناً صاغية ، في حين انّ من الواضح ان عقل كل انسان وعلمه وتجاربه مفيدة لتوجيهه في حدود معينة .

---

١) طبعاً نحن لانقول ـ ان غير النّبي ﷺ ـ الذي يتكلم عن الوحي ـ لايحقّ له وضع أي قانون، بل المقصود معرفة الموارد وتطبيق الكليات علىٰ مصاديقها .

ـ إنّ معنىٰ حاجة الانسانية الى القائد الالهي لاتعني الاستغناء الكامل عن العقل والعلم والتجربة ونحن لانقول بهذا أبداً، بل نقول بخلافه، بوجوب حل مشاكل الحياة ورفع حاجاتها بالاستفادة من العقل، وكما سبق ان ذكرنا فان مسألة الحاجة الى القائد الالهي أمر يتبين بواسطة العقل.

الطّالب ـ وقد عبس وجهه وانكمش بسبب انزعاجه وقال: علىٰ كل حال فاني لم أفهم ماذا تريد أن تقول، ومن أي طريق تريد أن تثبت حاجة البشر الىٰ القائد الالهي وان العقل والعلم والتجارب لاتكفيه، فالأفضل ان تبدءوا بالتفصيل لنستفيد.

من يعلم؟

ـ نعم اذا سمحت، فكما قلنا سابقاً واتضح تماماً أن نظام الخلق العظيم هذا واحد منسجم وحيّ وهو دائم الحركة والفعالية، والنوع الانساني جزء من هذا الواحد ومرتبط بهذا الجهاز العظيم وكل أجزاء هذا العالم قد جُعلت في خط تسير فيه الىٰ الأمام بنحو اجباري وتؤدي وظائفها، إلّا الانسان وحده خلق مختاراً لأنه يمكن ان يصل الىٰ مراتب من الكمالات الخاصة، فكان حراً في بعض أفعاله ويستطيع ان يعمل بها بحرية.

طبعاً ان الانسان في وجوده وولادته وشكله وعنصره وزمانه ومكانه وعلاقاته العائلية ومحلته وبلده وكذلك عمل الكثير من أعضاء بدنه كالقلب والمعدة والكلية و... مجبور ويعمل تحت ظل قوانين الخلق العامة، واختياره وحريته في بعض الأعمال فقط، لكن اختياره يؤثر في المستقبل في حصول السعادة أو الشقاء بعيداً أو قريباً منه بحكم القوانين العامة

للوجود.

فمثلاً أنّ الانسان حرّ في الأكل والشرب، المشي والكلام فيستطيع ان يأكل الأطعمة المحللة والمفيدة كما يمكنه ان يتناول لحم الخنزير والمشروبات الكحولية، ويستطيع ان يذهب الى المساجد ومراكز التربية كما يمكنه ان يذهب الى البارات والكباريهات، ويستطيع ان يتكلم بأدب ووقار أو يتكلم بالكلام الفاحش البذئ.

نعم فان الظروف المحيطة والعمل يؤثر في ذلك ولكنه لايكون مجبوراً بسبب الظروف المحيطة أبداً.

كذلك في مسألة السكن ووسائل النقل، والأهم من ذلك كلّه الغريزة الجنسية التي هي من الحاجات الانسانية المهمة ولها أساليب وطرق لإشباعها، والانسان حرّ امامها، فالآن لو سألت العقلاء والعلماء والاجهزة التشريعية فانّهم مختلفون في الجواب.

فواحد يقول: إن الكحول مضرة. والآخر يقول: أنّها مفيدة. وأحدهم يقول: ان لحم الخنزير ملوّث بديدان خطيرة وفيه مضار روحية ونفسية. والآخر يقول: لا مانع من تناوله، وواحد يقول: ان الزنا واللواط والاستمناء (والعياذ بالله) لا ضرر فيها، والآخر يحرّمها، وفي مثل هذه الحالة فعقل كل انسان يقول أن أحد الطّريقين خطأ لكن أيّهما؟

هنا يسأل العقل نفسه؛ إننا ولكي نصون أنفسنا من الوقوع في الخطر ونتبع الطريق الصحيح النافع فماذا يجب أن نعمل؟

العقل يقول لنا: يجب أن تسألوا من له اطّلاع أكثر بالمصالح والمفاسد والمنافع والمضار ويعرف علاقات الانسان بالعالم وتأثيرات العالم على

الانسان بنحو أكثر ، فهل يحكم عقلك بغير هذا ؟

الطّالب : كلا ، فالأمر كلّه كما تقول وكل عقل يحكم بذلك لكن الاختلاف في تعيين هذا المقام فمن يمكنه ان يحوز هذا المقام ؟

ـ حسناً جدّاً وهنا نسأل العقل مرة أخرىٰ ونقول أي شخص هذا ؟ وأيّ مقام يستطيع أن يميّز الأساليب المفيدة من المضرّة ؟ فسيقول في الجواب : بانّه كما ان صانع السيارة يعلم أكثر من أي شخص آخر بقطعاتها وأجزائها وكيفية تشغيلها وأفضل طريقة للاستفادة منها كي تدوم أكثر ، ولذلك فان هذا الصانع يعطي كتيباً فيه ارشادات مفهومة عند الناس وقد ذكر فيه تركيب أجزاء السيارة وطريقة استعمالها .

فكذلك أيضاً خالق الوجود ، فانه وكما عرفنا من بحوثنا السابقة انّه الأدرىٰ بما يصلح الانسان ويدلّه علىٰ الخير وينجيه من الأخطار والشرور .

مع فرق بينهما ، وهو ان خالق الانسان والعالم هو الذي أوجد الأشياء من العدم ، فهو ليس يعلم بأجزاء هذا العالم والعلاقات فيما بينها فحسب ، بل هو الذي خلقها وأوجدها وهو مطّلع علىٰ أعماقها وبواطنها ، فهو ليس كصانع السيارة أو مخترع الآلة الذي لايقوم إلّا بجمع اجزائها وتركيبها بشكل معيّن وليس له علم كامل بأسرارها وبواطنها .

ولذلك نقول : ان خالق الانسان يعلم الطريق الأفضل لحياة الانسان المختار وحفظه من الاخطار أكثر من أيّ أحد ولا يمكن أن يترك الله سبحانه الانسان بوضعه الذي وصفناه ولا يجعل له مرشداً يبيّن له طريق الصواب .

في حين أنّ صانع السيارة وجامع قطعاتها مهما كان دقيقاً وماهراً في عمله فانه يعجز عن اتقان بعض أجزائها أحياناً، وبالتدريج تتكامل ويتم اصلاح عيوبها.

ضرورة نظام المرشد في الخلق:

وهنا نسأل العقل عن الانسان الذي خلق مختاراً وأُرشد الىٰ الطريق المستقيم الىٰ يوصله الىٰ الهدف الأصلي من خلقه وبلوغ الدّرجات العالية من الكمال الممكن، فاذا كان يواجه احتمال الانحراف عن هذا الطريق، وأعطي مصباحاً قليل الاضاءة إسمه العقل ليعرف به مواقع الزلل والانحراف فأضاء هذا المصباح الى مسافة معينة فابتلي بعواصف وغبار فصار يختلف في أحكامه وارشاداته، اذ يوجد بين العقلاء حالات من الاختلاف غير القابلة للجمع والكون في جهتين متقابلتين، وفي هذه الحالة ألا يجب ارشاد الانسان الى الطريق الصحيح والأخذ بيده ونجاته من الحيرة والضلال؟ واذا ترك لحاله فانحرف وضيّع رشده فمن المقصّر في ذلك؟ ثم أليس هذا خلقاً ناقصاً؟ فلا عقل هنا يشك في الحكم بضرورة الهادي والمرشد. ونحن نطلق علىٰ ضرورة الهداية والارشاد هذه اسم النبوّة العامة، أي ان العقل يحكم بأن وجود المرشدين للانسان ضروري في نظام خلق العالم، وبدونه يكون الخلق معيباً وناقصاً.

ولذلك فان علىٰ الله خالق الوجود أن يختار أفراداً أنبياء باستمرار ويبعثهم الىٰ البشرية لقيادتها ويسدوا هذا النقص، وهذه ضرورة الخلق وجزء نظام

الوجود.

ومن أجل ان تتضح هذه الضرورة أسألك عن الحياة الفردية للانسان، ودور العقل فيها، فهل يمكن للانسان المختار الذي يستطيع ان ينحرف يميناً وشمالاً أن يستمر في حياته على الطريق الصحيح اذا سُلبَ منه العقل وفقد قوّة التشخيص والتمييز؟ وهل يستطيع اذا فقد عقله وصار زمامه كاملاً بيد غرائزه وأهوائه أن يحقق لنفسه ما يفيدها ويصلحها؟

الطّالب: كلا وأبداً، فان من الواضح ان الانسان ناقص اذا فقد العقل.

ـ فكذلك نفس الحالة بالنسبة لنظام الخلق والحياة والعنصر الانساني اذا فقد الانبياء، لأن الأنبياء يسيرون مع العقل في أحكامه المستقلة التي لا خلاف فيها ولا غبار، ولا حكم للأنبياء هنا غير حكم العقل، ولكن هناك موارداً لايصلها شعاع العقل أو لايستطيع ان يدركها أو وقع الخلاف فيها بين العقلاء، فلولا وجود الأنبياء والرسل الألهيون فحال نظام الوجود عامّة والنوع الانساني خاصّة كحال فرد الانسان الفاقد للعقل، فالأنبياء بالنسبة الى نظام الخلق العام كالعقل بالنسبة للانسان[1].

الطّالب: وهل اطاع الناس الأنبياء وسمعوا كلامهم كي يوضحوا لهم الطريق ويرشدوهم ويصلحوا لهم معايبهم؟ فما نراه في العالم هو نفس الحالة السابقة من الحيرة والاختلاف في العقائد والأفكار، وبالنتيجة فان هناك أُناساً ضالين عن الطريق وان كنّا لانعرف من هم.

---

١) وقد صرح أئمتنا عليهم السلام بهذا المعنى، فقد روي عن الامام أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام أنّه قال: «أنّ لله على الناس حجّتين حجّة ظاهرة وحجّة باطنة، فأمّا الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة وأمّا الباطنة فالعقول». الكافي / باب الحجّة.

ـ كلاّ فليس كذلك، ولو تنظر بدقة سترىٰ ان النقص قد أُزيل من نظام الخلق وان كان عدد من الناس قد انحرفوا من جادة الصواب بسوء اختيارهم أو بسبب لوازم نظام الخلق التي بحثت سابقاً.

انظر مثلاً الىٰ نظام الحياة الاجتماعية للانسان والتي تحتوي علىٰ مؤسسات ثقافية وصحية وادارية وأمثالها ولولاها لكان النظام ناقصاً، ولكن لو وجدت ولم يخضع لها عدد من الناس، ولم يستفيدوا منها فهذا لايعدّ نقصاً في النظام وانما تقصير وخلاف من قبل هؤلاء الأفراد وستظهر نتائجه عليهم كما انهم سيحاسبون ويعاقبون علىٰ ذلك[1].

فاذاً لايبقىٰ نقص في نظام الوجود من بعد بعثة الأنبياء وان لم ينتفع بهم جماعة من الناس، وحتىٰ لو كانوا في حجم أمم وشعوب في بعض القرون فان النوع والعنصر الانساني قد اهتدىٰ الى الطريق الصحيح الموصل الى هدف الخلق بفضل قيادة الأنبياء وارشاداتهم.

الطّالب: حسناً جداً فان الكلام بهذا المستوىٰ قد يكون أعلىٰ من قدرتي علىٰ الفهم والادراك حيث صرت أشعر بالابهام ولم تتضح لي المسألة بشكل كامل فأرجو أن تبيّن لي إن كان لديك طريق واضح وسهل لاثبات ضرورة بعث الأنبياء والرسل الإلٰهيين.

طريق أسهل:

نعم إن أردت أن نتحدّث بنحو أبسط فيمكن أن نناقش القضية

---

١) جاء في الروايات حول المحاسبة في يوم القيامة ان العبد حينما يُسأل عن الفرائض التي لم يؤديها يقول لم أكن أعلم، فيُقال له هلاّ تعلمت ثم يحكم عليه بالعقاب.

من الطريق الذي أشرت اليه أنت .

أوليس الانسان موجوداً اجتماعياً يحتاج الىٰ التعاون مع الغير في حياته؟

أوليس الانسان كبقية الموجودات الحيّة الأخرىٰ يحب نفسه وما يرتبط بها من شؤون ؟

فالناس من حيث انّهم يعيشون حياةً اجتماعية فهم مضطرون للتعاون في مابينهم وعلىٰ كل واحد منهم ان يتولىٰ جانباً من شؤون الحياة[1]، ومن حيث ان كل انسان يحب ذاته ونفسه فهو دائماً يرجح مصالحه على مصالح

---

١) وان ذكرت تفاسير عديدة لاجتماعية الانسان منها انه يستوحش من الوحدة ، ومنها وجود غريزة استخدام الآخرين ، ومن الأنس والمحبة ، ولكن رأينا ان أوضح الطرق هو ان نظام خلق المرأة والرجل واحتياج أحدهما الىٰ الآخر الذي يؤدي بطبيعته الىٰ ولادة الأطفال والحب الطبيعي لهم من قبل الأبوين ، ثم امتداد هذا الحب شيئاً فشيئاً الى العشيرة والقبيلة ، وهكذا يأخذ النوع الانساني الصبغة الاجتماعية ويكون الناس كلّهم كعائلة واحدة تعيش في بيت كبير هو الكرة الأرضية ، وذلك فانّك تتأثر للحادثة التي تقع في أقصىٰ نقاط الأرض . ونمو هذه العواطف الانسانية يحيي روح الحياة الاجتماعية وضعفها يُفقد الحياة لونها الاجتماعي حتى لو كانت التركيبة الاجتماعية باقية ..

فاليوم تلاحظ الحياة الاجتماعية الجافة في الغرب فالتركيبة الاجتماعية موجودة ولكنّ الافراد متباعدون أحدهم عن الآخر وأحياناً ينفصل الأب عن الابن والزوج عن الزوجة والأم والابن بنحو عجيب مع انهم يعيشون في عمارة واحدة ، فالتعاون الاجتماعي لايريد مثل هذه الحياة وكل فرد يرى نفسه لوحده في المجتمع .

ولكن اذا جئنا الىٰ الشرق الذي هو مهد تربية الأنبياء الالهيين نرى ان العواطف الانسانية أقوىٰ وروح الحياة الاجتماعية أرق وألطف بحيث ان الأفراد لايشعرون بالوحشة حتى في دار الغربة .

ونرىٰ ذلك في كثرة الزيارات والعيادات والتعاون المتبادل ويتضح ذلك جلياً في تعاليم الاسلام أكثر من غيره .

ينقل أحد ممثلي المسلمين في ألمانيا مثالاً علىٰ ذلك بأنّ أحد المسلمين الذي كان قد أسلم في أواخر عمره توفي، فأردنا تجهيزه وفق الآداب الاسلامية ، فجاء إبنه فقال إنّي أُريد منكم بدنه ، فقلنا له ان هذا لايجوز لنا طبقاً لاحكام الاسلام ، فأخذ يتوسل بنا وقال إنني سبق ان بعت بدن أبي الى مختبر التشريح التابع لأحد الكليات الطبية ؟!

الآخرين وكما يقول **ديل كارنجي**: إن الانسان يفكر كثيراً بصداع يصيبه ولا يفكّر بموت الآخرين.

فهاتان الصفتان متأصلتان في وجود الانسان وهما مصدر لكل نزاع وجدال، فالنزاع والتزاحم طبيعي تماماً بسبب وجود هاتين الصفتين .. فاذا لم يمنع هذا النزاع ويحدد فانه سيزداد حدّة ويتحوّل من نزاع فردي الى عائلي وقبلي ويسبب حدوث الحرب، الصغيرة والكبيرة، وشيئاً فشيئاً يهدد النسل والنوع الانساني.

فحب الذات الطبيعي والتعاون الفكري يحتاج الىٰ وسيلة تمنع حدوث النزاعات والحروب وأبسط هذه الوسائل التي وجدت في المجتمعات منذ زمان قديم ويوافق عليها الجميع هي جعل القوانين والحدود التي يعيش الناس في ظلّها سوية وكل منهم يحفظ حقوق الآخرين ويرعىٰ مصالحهم فلا يحصل الصدام والنزاع.

وانك لاترىٰ مجتمعاً عاش علىٰ الأرض إلّا وله قوانين وأحكام مهما كانت حالة ذلك المجتمع، بل حتىٰ في القبائل المتوحشة توجد هناك قوانين بنحو محدود.

فالآن لو قلنا أن وجود سلسلة من القوانين والحدود من ضروريات الحياة الانسانية ومن لوازم الخلقة فلم نقل إلاّ أمراً طبيعياً واقعياً.

الطّالب: نعم، لاكلام في ضرورة وجود القانون في الجملة، وعلىٰ أقل تقدير لايمكن انكار القوانين الصحية في الحياة الفردية والمعاملات والاحكام الجنسية وقوانين المرور في الحياة الاجتماعية..

ـ وفي مثل هذه الظروف التي يكون فيها وضع وجعل القوانين أمراً طبيعياً

ولابدّ لنا مع كل ما في الانسان من صفة رفض القيود والحدود والطموح العالي أن نحدّد أنفسنا بمجموعة من المقررات ونكون خاضعين لها.

وعندما نراجع هذه القوانين والحدود في تاريخ الحياة الانسانية وفي جميع ظروفها المختلفة نرىٰ وجود نوعين من القانون، أحدهما ناتج عن أفكار أفراد معينين ومترشح من المخ الانساني لعدد من الاشخاص مع ما بينهم من اختلاف وتبعثر في الرؤىٰ. وهذه الاحكام نسميها بالقانون الأرضي لأن مصدرها مخ الانسان وفكره.

والقسم الآخر هو القوانين التي جاء بها الأنبياء، وتتصف هذه الاحكام بأنّها متقاربة وتتجه في اتجاه ومصب واحد، واضافة الىٰ ذلك فانها ليست من صنع عقول الأنبياء وأفكارهم بل نابعة هي من عمق الوجود وروح الخلق وهو ربّ العالم، ونسميها بالأحكام الالهية.

فأيّهما نختار؟

فأيّ قسم من هذه الأحكام يمكن قبوله في رأيك؟

الطّالب: وهل أن الأنبياء لايتكلمون بشيء من أفكارهم وعقولهم؟ فنحن لانستطيع أن نخرج من دائرة العقل وأحكامه.

ـ نعم، نحن لانريد أن نخرج من حكم العقل، بل نريد أن نسأل العقل أي الطريقين يختار، لكن وكما ذكرنا سابقاً فان القضايا التي يحكم فيها عقل كل انسان بوضوح وليس فيها اختلاف لا حاجة فيها الى الدين والأنبياء ولا يختلف فيها حكم الدين والعقل، فمثلاً لو سألت أي انسان عن القتل بغير سبب كيف هو؟ فانّه يستقبح ذلك بدون أدنىٰ تأمّل كما لو سألت أي شخص

عن العدالة كيف هي ؟ فانّه يجيب مباشرة بالحسن أو اعتبارها أمراً واجباً وضرورياً ، فالعقل والدين في هذين الحكمين متفقان .

لكن في الحياة قضايا تختلف العقول في ادراكها والحكم عليها ، ولا يفهمها الجميع بنحو واحد ، والحاجة الطبيعية الى القانون والحدود التي أشرنا اليها تحكم بضرورة اختيار أحد الآراء والعمل به ..

فهنا نشعر بالحاجة الىٰ قوة أعلىٰ ، ونختار قوانين الأنبياء لأنهم يتكلمون بقلب ولسان أعلىٰ من العقل أيّ عن الله ربّ العالمين ، والعقل يصدق قضاياهم وأحكامهم بالالتفات الكامل والدقة وقد لايدرك بعضها بنحو كامل ، فأحكامهم تشبه بالضبط وصفة الطبيب التي يعطيها للمريض ، فقد يعرف المريض بعض الأدوية ويدرك قسماً من أوامر الطبيب وقد يجهل قسماً منها ولكنه يعمل بجميع مافي الوصفة اعتماداً علىٰ الطبيب المتخصص .

الطّالب : حسناً جدّاً انني أقبل بأنّ في مثل هذه الظروف فان الأولوية والرجحان لقوانين الأنبياء ، وذلك حينما لايستطيع العقل أن يدرك القضايا بشكل تام مثلما ذكرت[1] لكن ما معنىٰ قولك أن الأنبياء يتكلمون بما هو فوق العقل مع انهم أفراد كبقية الناس ؟ وكيف يتلقون الأمور من ربّ العالم ؟ مع انّ جميع العقول تتلقى العلوم من الله تعالى بميزان واحد .

ـ نعم إنّ هذه مسألة مهمة يجب أن نبحث عنها خلال كلامنا عن أصل النبوّة ، وفي الحقيقة انّ منزلة الأنبياء ودليل وجوب اتّباعهم وامتيازهم عن

---

١) معرفة ان ادراك العقل صحيح يتم في حالة الاتفاق القطعي بين العقلاء و الاختلاف بينهم تعرض آراؤهم على مقاييس قطعية يتفق عليها العقل ، فالإدراك الصحيح هو ماكان قطعياً لا خلاف فيه وما وافق الموازين القطعية ، وغير ذلك يكون مشكوكاً .

الآخرين يكمن في هذه القضية. فلو كان الأنبياء يهدون الناس بما يترشح من أذهانهم وعقولهم فلا فرق حينئذٍ بينهم وبين الاخرين ويكون كلامهم بدرجة العقل ولا تتضح أولويتهم على مخالفيهم.

فالدليل على وجوب التبعية للأنبياء هو أنهم ينقلون عمّن هو فوق العقل[١] وهذا حكم عقلي وهو انّه ليس يجوز اتباعهم فحسب، بل يجب اتّباعهم، غاية الأمر إننا نريد اثبات أصل النبوّة أوّلاً ثم نصل الى الكلام حول كيفية تلقي الوحي.

الطّالب: ان مسألة أصل النبوّة قد تمّ تقريباً اثباته بالبيان السابق ولكنني أردت توضيحاً أكثر بطريقة أسهل ونظراً لما تفضلت به فقد اتّضح لي أن كلا الطريقين يثبت حاجة الانسان الى معرفة طريق الحياة في هذا العالم[٢] عن طريق من هو أعلىٰ من العقل، والآن تحدث لي عن كيفية ادراك الأنبياء الحقائق عن غير طريق العقل وتبليغها للناس؟

ـ لو قبلنا صدقاً بان معرفة طريق السعادة في الحياة وأحكامه وقوانينه يحتاج الى مقام أعلىٰ من العقل وذلك المقام هو الله ربّ العالم وخالق البشر، وقبلنا الىٰ انّ جميع الناس لايملكون قدرة الارتباط بباطن الوجود وروح العالم وخالقه بحيث يدركون الحقائق كما هي.

فلابدّ اذاً من انتخاب واصطفاء أفراد تتوفر فيها الشّروط الجسمية

---

١) يقول القرآن الكريم حول نبيّ الاسلام ﷺ: ﴿وَما يَنطِقُ عَنِ الهَوىٰ * إِنْ هُوَ إِلّا وَحيٌ يُوحىٰ * عَلَّمَهُ شَديدُ القُوىٰ﴾ (سورة النجم: الاية ٣ ـ ٥)

٢) وان كان للسيد العلاّمة الطباطبائي استدلال مبني على ان نقبل أوّلاً ان وجود الانسان أوسع من هذا العالم وان مبدأ الانسان الولادة ولا نهاية له يعني الاذعان بأن المعاد أوسع من دائرة المصلحة والمفسدة فتكون الحاجة الى المرشد والهادي أوضح وأعمق. (تفسير الميزان: ج٢ آية ٢١٣)

والرّوحيّة ويملكون الكفاءة الكاملة لهذا الأمر الذي هو كما قلنا من ضرورات عالم الوجود وجزءٌ من نظام الخلق[١]، أي انّ علىٰ الله سبحانه بما انّه ربّ الوجود وخالق النظام الأكمل أن يخلق أفراداً يتمكنون من الارتباط بأعماق الوجود وبربّ العالم ويتلقون الحقائق من لدنه، وكذلك يتصلون بالناس ويبلغونهم الاحكام والمعارف الالهية وعلىٰ الله سبحانه ان يهيئ الشروط والمقدّمات اللازمة لظهورهم وبعثهم وإلّا فان النظام سيكون ناقصاً كالانسان الفاقد للعقل.

المعجزة:

ولابدّ لهؤلاء الأفراد أن يثبتوا لبقية الناس أنّهم يملكون هذه القدرة وهذا المقام وأنّهم مرتبطون بالله ولايتكلمون إلّا منه وهنا يأتي دور المعجزة.

وذلك يتمّ بأن يأتي الأنبياء عليهم السلام بأمور ويقوموا بأعمال خارقة للعادة تدلّ على انّهم مرتبطون بالقوّة العليا، ولابد انّك قد طالعت أمثلة علىٰ ذلك في تاريخ حياة الأنبياء كعصا موسىٰ عليه السلام التي كانت تتحول الى حيّة ويده التي كان

---

١) المقصود من انتخاب واصطفاء أفراد كهؤلاء هو ان الله سبحانه ربّ الوجود يوجد فيهم الصفات التي تحفظهم وتصونهم في طول طريق الرسالة الصعب والمليْ بالعقبات كي لايتركوا أثراً سيئاً. فيجعل الله سبحانه نطفهم وعناصرهم طاهرة وأرواحهم وحقائقهم أطهر. وهذا هو السرّ في تحديد الأنبياء.
وقول الشاعر: يمكن للانسان ان يكون كموسىٰ كليم الله عليه السلام، معناه ان الناس يستطيعون عن طريق العبادة وتكميل النفس ان يبلغوا درجة الأنبياء، لا أن يصيروا أنبياءً وهذا هو السرّ في الروايات الكثيرة حول خلق النبي والائمة الاطهار عليهم السلام وان أنوارهم المقدسة كانت موجودة قبل خلق آدم.

يخرجها من جيبه فيضيئ منها نور ساطع ، وابراء عيسىٰ للأكمه والأبرص واحيائه للموتىٰ ، وأوضح من الجميع المعجزة الخالدة لنبي الاسلام ﷺ الذي كان امّياً لم يتعلم علىٰ يد أحد وتربىٰ في مجتمع جاهلي مظلم فيأتي بكتابٍ جامع ومتين فيه أحكام جميع احتياجات الحياة الفردية والاجتماعية وجميع الاختصاصات العلمية وبعبارات بديعة وكلمات بليغة ولو تدبر الانسان فيه لأدرك جلياً ان معانيه من مصدر لايتناهىٰ ومن عين لاتنضب وقد نزلت بالمقدار الذي يمكن أن تتحمله الألفاظ ولذلك فان عبارات القرآن فوق عالم الانسان وقد بحثت في موضوع اعجاز القرآن اضافة الى المعاجز الأخرىٰ التي صدرت من النبي ﷺ .[1]

الطّالب : لايهمني أمر المعجزة وكيفية المعجزة ، وما أُريده هو أن توضّح لي كيف أن الأنبياء يتلقون الحقائق ممّن هو فوق العقل ومن ربّ العالم ؟

ـ نعم ، إنّي أفهم مقصودك ولكن لأجل أن أوضّح مسألة الوحي وكيفية تلقي الأنبياء له كان لازماً أن أُشير الى مقام الأنبياء الذين هم المنتخبون من قبل الإرادة الالهية ونظام الخلق وقبل ذلك الى اثبات ارتباطهم وقدرتهم

---

١) إن الاعجاز هو عبارة عن فعل الله الذي يتمّ على يد الأنبياء عليهم السلام ولذلك فهو يختلف عن السحر والشعوذة والاعمال الاخرىٰ التي تظهر أنّه خارقة للعادة ، ولكنها تختلف عن المعجزة اختلافاً جوهرياً لأن السحر وأمثاله يعتمد علىٰ وسائل طبيعية وتعليمات خاصّة للتصرف في العيون وذلك فهي لاتنحصر بفرد ويستطيع الآخرون ان يقوموا بها ويمكن ان تؤثر على الموجودات ، اما المعجزة فلاتدخل فيها الوسائل الطبيعية وتحصل عن طريق الارادة الالهية فقط ولها تأثير على باطن وعمق الموجودات وتوجد فيها تغييرات اساسية .

ولذلك فان سحرة مصر عندما رأوا عمل موسىٰ عليه السلام سجدوا فوراً لأنهم رأوا أنّه قد خلق ثعباناً ابتلع كل الأفاعي التي عملوها بسحرهم ثمّ رجعت العصا الى سيرتها الأولىٰ ، وكل ذلك تمّ باشارة واحدة وأمر واحد ، فعلموا ان هذا لايكون إلّا بالإرادة الإلهية التي تؤثر في عمق الموجودات ، لذلك اسلموا وآمنوا بموسىٰ عليه السلام قبل الآخرين الذين لم يدركوا هذا السرّ كما أدركه السحرة .

على الاتصال بالقوّة العليا.

الطّالب: قد تحدثت الى حدّ ما عن مقام الأنبياء ونحن قبلنا إنّهم بالنسبة الى المجتمعات الانسانية كالعقل بالنسبة الى الفرد.

ـ صحيح، لكننا هنا نؤكد على هذه الجهة وهي أن الأنبياء يجب أن يطبقوا هذا القانون العام وهو ضرورة النبوّة على أنفسهم ويثبتوا للناس أنّهم هم الأنبياء الذين يحكم العقل بضرورة وجودهم وهذا الأمر لايحصل إلّا عن طريق الاعجاز واثبات هذا الارتباط، وبعد أن ذكرنا ذلك يمكننا الآن الدخول في مسألة الوحي.

تلقي الوحي:

ـ ليس الوحي الى الأنبياء ادراكاً غريزياً كما انه ليس ادراكاً ومعرفة عقلية أي ان الوحي لايحصل بايعازات من الغريزة ولا بالاستنباط والاستدلال العقلي، وأعلىٰ من ذلك، فانه ليس الهاماً روحياً مفاجئاً ناشئاً من عمق الرّوح والقلب [1] لأن كل ذلك يصدر من نفس الانسان وباطنه، أمّا

---

١) من الواضح ان هناك الهامات تحدث للانسان بنحو مفاجئ وعندما تعرض على الموازين والحسابات العقلية تظهر صحيحة تماماً، وهي ترتبط بوجود نفس الانسان وباطنه سواء كان الانسان متوجهاً الىٰ عمل ما أم كانت ابتداءً، أمّا الوحي فيأتي من خارج وجود النّبي ﷺ وكما هو واضح فان القرآن الكريم عندما يقول ﴿وأوحىٰ ربُّك الى النّحل أن اتخذي مِنَ الجبال بيُوتاً...﴾ سورة النحل: الآية ٦٨)

فليس هذا مثل وحي الأنبياء بل هو هداية وارشاد تكويني وبايحاء من الغريزة التي جعلها الله فتبني اشكالاً سداسية محكمة جميلة عجيبة وتتنقل بين الأزهار لتصنع منها غذاءً عظيم الفائدة.

وكذلك في مسألة الوحي الى أم موسىٰ في الآية الكريمة ﴿وأوحينا الىٰ أُمّ موسىٰ أن أرضعيهِ فاذا ←

الوحي فانه ينزل من جهة ربّ العالم ومنه يبدأ الاتصال والارتباط لا من جهة النبي، مع أن كل الشروط المطلوبة والظروف المساعدة يجب أن تتهيأ في النبي.

فالنبي في حال الوحي ينجذب ويرتبط بالعالم غير المتناهي وحينئذٍ فانه لايستمع من قلبه وروحه ولا من شعوره أو لاشعوره بل من ذلك العالم الذي لا حدّ له ولا منتهىٰ ولا نستطيع نحن بقوانا الادراكية ان نحيط به وإلّا لكنّا أنبياء، ونحن انما ندرك ان هذه المفاهيم والمعارف ليست كبقية المعارف الأخرىٰ بواسطة الموازين والحسابات العقلية ولذلك نعبّر عنها بالشعور المجهول.

الطّالب: ولو أن ادراك هذه الحقيقة أمر ثقيل عليّ ولكن بناءً على هذا التفسير فلا حاجة اذاً الى جبرئيل وأمين الوحي وأمثاله لأن هذا الارتباط يتمّ بين ربّ العالم والانسان الذي تتوفر فيه الشروط اللازمة على ماذكرت. وباقي الادراكات تتم بواسطة الارتباط الذي يبدأ من نفس الانسان وبما يملك من صفات وبمقدار سعة ادراكه واستقلاله.

قلت متبسما: إنّك قلت أن إدراك هذه الحقيقة ثقيلة عليك، ولكن كلامك هذا يدلّ علىٰ انّك فهمت المسألة فهماً جيداً.

الطّالب: ضحك وقال: عفواً إنني قلت انه يستقبل ويستلم بمقدار سعة ادراكه.

← خفتِ عليهِ فَالقِيهِ فِي اليمِ ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادُّوهُ اليك وجاعلُوهُ مِنَ المُرسلين﴾ (سورة القصص: الآية ٧).

فهذا الوحي غير الوحي الذي ينزل على الانبياء عليهم السلام وأن كان هو شعوراً واحساساً قذفه الله تعالى في قلبها وفكرها.

ـ إنني سعيد جداً على كل حال وهذا التفسير الذي ذكرناه للوحي يتعلق بالوحي المباشر الذي لاتوجد فيه وساطة الملائكة وهو أعلىٰ مراحل الوحي، ولكن هناك حالات يكون فيها الملك الأمين واسطة ويكون الأمر أسهل، ولكن مع ذلك فان الجذب يكون من جهة المبدأ الاعلىٰ وربّ العالم ويتمّ بواسطة جبرائيل.

وخلاصة القول: إن الوحي ارتباط خاص يوجده الله تعالى مع الانبياءﷺ وبواسطة هذا الارتباط يطّلع الأنبياء على ما في متن الوجود وبواطن الخلق كما هو، ولذلك فان هذا الادراك مصون من الخطأ والاشتباه، والقيمة الاصلية للدين تكمن في صيانته من الاشتباه والخطأ والتي تعبّر بلسان الدين بالعصمة.

العصمة:

الطّالب: يعني تقول أن الله خلق الانبياء بنحو خاص بحيث لايستطيعون الاشتباه؟

ـ اسمح لي وقبل أن ندخل في بحث العصمة أن اشير الى مسألة متعلقة ببحث تلّقي الأنبياء يجب ذكرها.

الطّالب: عفواً تفضل.

ـ كما تعلم ان للأنبياءﷺ جهتين أحدهما الاستقبال والتلقي من المبدأ الأعلىٰ والأُخرىٰ النزول الى الناس وايصال المعارف والاحكام الالهية وتبليغها لهم.

وما أريد أن أشير اليه هو الأخذ والتلقي من الله يتمّ بطريق غير عادي أي

عن طريق الوحي ولكن من جهة التبليغ الى الناس وكما يدلّنا التاريخ فانهم سلكوا الطريق المعتاد واستخدموا الوسائل المتداولة في أيّامهم، أي انّ الأنبياء في عملهم التبليغي والارشادي عاشوا مع الناس وتكلموا معهم ووقفوا في مقابل من خالفهم ودافعوا عن رسالتهم وحتىٰ انّهم خاضوا الحروب من أجلها وتحملوا واجتازوا العقبات والمخاطر، ولم يلجأوا الىٰ الاعجاز والخروج عن الطريق المعتاد والوسائل الطبيعية إلّا في الحالات الاستثنائية والخطر الكبير الذي يهددهم بحيث يوجب الاستمداد المباشر من القوّة الالٰهية، وفي تلك الحالة فان الله يمدّهم وينصرهم عن طريق الغيب

والآن اسمح لي أن نرىٰ ماهي عصمة الأنبياءﷺ ؟

ان المقصود من العصمة ليس هو ان الأنبياء لايستطيعون الاشتباه، بل أنّهم بحكم كونهم من أفراد البشر يتمتعون بالإرادة والاختيار ومع أنّهم يستطيعون فعل القبيح إلّا أنّهم لا يفعلونه .. لأن القدرة على العمل غير القيام به وإلّا فلو لم تكن لهم القدرة على المعصية لم تكن للعصمة أيّة فضيلة وكمال بل انهم بذلك يخرجوا عن سلك البشرية ويكونوا مثل بقية المخلوقات التي تصدر أعمالها بواسطة العوامل الطبيعية والغريزية.

وليس المقصود من هذه العصمة هو العصمة في ما يأخذه الأنبياء عن طريق الوحي فحسب، فان العصمة حاصلة قهراً في هذا الأمر ولا مجال للاشتباه لأنهم عند الوحي يرتبطون بعين الواقع ونفس الوجود وهو حق لايشوبه باطل فلا مجال فيه لوقوع الشك والاشتباه. بل المقصود من العصمة كون الأنبياء مصونين من كل ذنب وزلل ورجس سواء كان في تلقي

الوحي وفهمه وادراكه أو في تبليغه وايصاله الى الناس أو فيما يرتبط بوضعهم الشخصي وحياتهم الفردية.

الطّالب: هل لديك دليل على أن الأنبياء كانوا كذلك ؟

ـ نعم، فأمّا من ناحية تلقيهم الوحي من الله تعالى فانّ الأمر واضح، بحيث لايحتاج الى دليل لأن الواقع وعين الخارج لايشتبه فيه، ولا يرتبط الأنبياء بالوحي بواسطة العلوم العادية والصورة الذّهنية.(١)

وأمّا العصمة من ناحية التبليغ والارشاد وبثّ الاحكام والمعارف بين الناس فيمكن اثباتها من عدّة طرق وأوضحها مسألة وجوب الاعتماد والثقة بهم، لأن من ثبتت نبوّته وأمكن ان يصدر منه الاشتباه والمعصية والكذب والمخالفة فحينئذٍ لاتبقى ثقة به عند الناس الذين يجب أن يتبعوه فكلما يأمرهم بأمر يحتملون أنه أشتبه في ذلك أو أنه يريد ان يعصي الله ويخالفه،

---

١) اعلم أن حصول العلوم عند الانسان يتمّ بهذا النحو وهو أن توجد للمعلوم وكيفيته صورة في ذهن الانسان من طريق العين أو الأذن أو الحواس الأخرى فيرى الانسان عالم الخارج عن طريق هذه الصورة ويرتبط عن طريق هذه المرآة. إمّا الارتباط الواقعي والفلسفي بنفس المعلوم وعينه الخارجية فهذا غير ممكن. مثلاً نحن عندما نريد ان نعرف ما الجبل وماهو البحر وما هي الأشجار ؟ فان طريقنا الى معرفة هذه وأمثالها هو الرؤية بالعين أو السماع بالأذن من الآخرين فندرك لها في أنفسنا صورة ومرآة ولا نرتبط بنفس الجبل والبحر والأشجار وهذا القسم من العلوم يصطلح عليه بالعلم الحصولي.

ومن الواضح ان ذلك التصوير وتلك المرآة لاتُظهر حقيقة ذي الصورة كما هي ويحدث الاشتباه، حيث ثبت في علم الفيزياء وجود أخطاء كثيرة في الحواس وخاصة في العين، وأحياناً ترى نفسك تخاف من شيء ثم يتبين انك قد اشتبهت فترى من بعيد شبحاً وتتصور انه وحش أو ثعبان فاذا به يظهر لك شيئاً آخر.

والعلم الوحيد الذي لا اشتباه فيه هو علم الانسان بوجود نفسه أو الصور التي يوجدها الانسان في نفسه ففي مثل هذا الادراك لا حاجة الى واسطة والانسان يدرك عين وجوده بنفسه ويطلق على هذا العلم العلم الحضوري.

وبهذا الوضع لايمكن ان تتحقق الوساطة والنبوّة التي أثبتنا ضرورتها بين الناس وستفقد قيمتها دون أدنىٰ شك.

يعني أنّ الناس الذين فرضنا انهم لايستطيعون لوحدهم أن يدركوا الحقائق كما هي ولابدّ لهم أن يأخذوا ممّن لهم قدرة الارتباط بالله والذين أوجبت ضرورة نظام الخلق اجتبائهم وبعثتهم، ففي حالة احتمال المعصية والاشتباه وطمس الحقائق فسيبقىٰ الاشكال على حاله ويبقىٰ الوجود والخلق ناقصاً، إذ لايبقىٰ للناس طريق نحو إدراك الحقائق وسيبتلون بالانحراف ولا تبقىٰ لهم ثقة في انتخاب طريق عملي لحياتهم.

الطّالب: بهذا النحو الذي تفضلت به فقد تمت مسألة عصمة الأنبياء بالنسبة الىٰ مقام النبوّة، أي أنّهم معصومون في استقبال الحقائق والاحكام من المبدأ الأعلىٰ والانطلاق لتبليغها وارشاد الناس، لكن ماهي الضرورة لأن يكونوا معصومين فيما يرتبط بحياتهم الفردية وأحوالهم الخاصة.

ـ من الواضح أنّ من اعتبر نفسه مرشداً للناس واعترفنا بكفائته ولياقته لقيادة الناس اذا عمل بخلاف ما يقوله للناس وكان سلوكه يخالف كلامه فلا يمكن أن نعتبره انساناً صادقاً وواقعياً.

العلم بلا عمل:

الطّالب: أخذ بالضّحك ثمّ اعتدل وكأنه يريد أن يقول شيئاً ولكنه يتهيب من ذكره.

ـ قلتُ له وقد ثار لدي الشعور بحب التفحص: كأنّك أردت أن تقول شيئاً؟

الطّالب: لا أبداً لم يكن شيئاً مهماً.

ـ لا، لا، تفضل واذكر ما تريد، فلم يكن بناؤنا على أن تحكم على بحثنا المجاملة.

الطّالب: عفواً عندما قلتُ ان المرشد اذا سلك مسلكاً يخالف قوله وما يدعوا اليه فلا يعدّ صادقاً ولا يعتمد عليه ؟! فانقدح في ذهني أن من بينكم أفراداً يتكلمون مع الناس بأمور ولكن لايعملون بها لأنفسهم، مع ذلك لايمكن اعتبارهم من الكاذبين.

ـ قلت ضاحكاً: نعم كما ذكرت وما قلناه حول الأنبياء وما يأتون به من أمور ليس لعقلنا فيها حكم، فهنا العقل يحكم بوجوب التبعية لمن أثبتوا عن طريق المعجزة أنّهم مرتبطون بالحقيقة المطلقة وربّ العالم وأنّ كلما مايقولون فهو من الله.

فهنا لو لم يعلموا أفلاتشك في صدقهم فيما يقولون ؟

لاريب في أننا نشكّ في ذلك بل نشك في أصل نبوتهم، ولذلك فقد قلنا أنّهم يجب أن يكونوا معصومين في شؤونهم الفردية أيضاً.

وهذا الأمر لايرتبط بنا اذا قمنا بتبليغ كلام الأنبياء ووضحنا ارشاداتهم ثم لم نعمل بها لأنفسنا إذ اننا في هذه الحالة نكون كالشمعة التي تحرق نفسها وتذوب لتضيئ للآخرين.

الطّالب: حسناً جداً يمكن ان توضّح لي عن سبب اشتراط العصمة في الأنبياء من أوّل حياتهم ولماذا أنها لاتقتصر على عصر رسالتهم ؟

ـ هذا أمر يرتبط بالشروط التي لها دخل طبيعي في اصطفائهم ويرتبط

بقانون الخلق الذي لايسمح باعطاء هذا المقام للظالمين والخبثاء[١] والقدرة والإرادة الالهية التي حكمت باصطفائهم من بين الناس واعطائهم الصفات الالهية في الأرض هي التي تهيأ تحقق هذا الشرط.

ولو بحثنا في الأمر بنظر سطحي ومبسّط فنقول: أنّ الأفراد الذين لهم سابقة انحراف وتلوّث يكونون منحطين عند الناس وينظرون اليهم باستهجان فلا يكونون أهلاً للقيادة الالهية ولا يعترف الناس بهم كقادة، في حين ان تبعية الناس للأنبياء والقادة الألهيين أمر ضروري.

الطّالب: تسمح لي ان أسأل سؤالاً آخر.

ـ عفواً، تفضل.

ذنوب الأنبياء:

الطّالب: بناء على ما تفضلت به من ضرورة عصمة الأنبياء، ما معنى الاخطاء والمخالفات التي يذكرها لنا تاريخ حياة الأنبياء حتى انّ القرآن الكريم نسب الى آدم ارتكاب المعصية واستعمل كلمة الذنب بحقّ خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله.[٢]

---

١) في جواب ابراهيم عليه السلام لما سأل عن ان الامامة هل ستنال ذرّيته، قال الله تعالى ﴿لاينال عهدي الظالمين﴾. (سورة البقرة: الآية ١٢٤)

٢) ﴿...وعصىٰ آدم ربّه فغوىٰ﴾. (سورة طه: آية ١٢١)

﴿انّا فتحنا لكَ فتحاً مُبيناً * ليغفرَ لكَ اللهُ ما تقدمَ مِن ذنبكَ وما تأخّر...﴾. (سورة الفتح: الآية ١ـ٢)

﴿فاصبر ان وعد اللهِ حقٌّ واستغفر لِذنبكَ وسبّح بحمدِ رَبِّكَ بالعشي والابكار﴾. (سورة المؤمن: الآية ٥٥)

﴿فاعلم أنّه لا إله إلّا اللهُ واستغفر لذنبكَ وللمؤمنينَ والمؤمناتِ واللهُ يعلمُ منقلبكم ومثويكم﴾ (سورة محمد صلى الله عليه وآله: الآية ١٩).

ـ نعم انّه سؤال في محلّه جدّاً. فنظراً الى الأدلّة التي ذكرناها فانّ ماورد في تاريخ حياة الأنبياء عليهم السلام ممّا يسمى بالذّنب أو المعصية فليس معناه المعصية والمخالفة الحقيقية والتمرد على أوامر الله عزّوجلّ، بل انّهم قاموا بأعمال معينة لأجل مصالح وأسرار خفية غير ظاهرة للآخرين وهي في النظرة السطحية لعموم الناس تعدّ خلافاً وأمراً غير مطلوب ولو كشفنا للناس ما يكمن وراء هذه الأعمال من مصالح خفيّة لما عدّوها معصية ومخالفة، بل لحكموا بضرورتها ولزوم الاتيان بها.

الطّالب: ماهذا؟ وهل في المصلحة سطح وعمق؟ فاذا كان العمل صحيحاً وضرورياً وأمروا به فيجب أن ينفّذ، واذا لم يكن صحيحاً ونهوا عنه فيجب أن يُترك والمتخلّف يكون عاصياً.

ـ نعم هذا صحيح، لو تسمح لي أن أتحدّث عن مثال ونموذج كي تتضح المسألة بسرعة، فالمصلحة لها درجة ودرجتان، وبالاصطلاح المتداول ماذا يجب ان نعمل عند تزاحم المصالح وتصادمها كي نحقق ظرفاً آخر؟

الطّالب: تفضل، فانّ توضيح المطلب في مثال أسرع لي في الفهم من الكلام الكلي وانا بنفسي سأجد مثالاً واطبق عليه.

ـ في حياة موسى عليه السلام نقرأ في القرآن قصة سفره مع الخضر، فوصلا الى البحر فركبا سفينة فخرقها الخضر ثم نزلا منها وانطلقا حتى لقيا غلامه فقتله الخضر، ثم وصلا الى قرية ووجدا جدار يريد ان ينقض فأقامه الخضر مجاناً ولم يأخذ أجراً، وكل هذه الأعمال لاتناسب الأصول الظاهرية، ومع ان موسى عليه السلام تعهد للخضر ان لايعترض عليه مع ذلك لم يتحمل فأشكل عليه وعدّ هذه الأعمال من المعاصي، فقال له الخضر: انّك لاتتحمل ولا تستطيع

أن تدرك صحة هذه الأعمال ولابدّ أن نفترق وسأنبئك بتأويل وتوضيح ماصدر منّي من أعمال.

وبعد أن بيّن له الأسباب التي جعلته يقوم بهذه الاعمال الثلاثة اتّضح لموسىعليه السلام[1] فلم يصدق بها فحسب، بل تعجب ممّا فيها من مصالح كانت تخفىٰ عليه.

كما أن تقرّب آدم وحواءعليهما السلام الى الشّجرة التي نهيا عن الأكل منها من هذا القبيل.

أي ان هناك مصالح وأسرار في البين لاتُرىٰ من خلال النظرة الأولية البدائية، ولكن بالدّقة والتأمّل تعرف المصلحة ويتبين ضرورتها.

فالناس يجب أن يأتوا الىٰ الأرض ويلاقوا فيها ما يلاقوا من عقبات وصعود وهبوط هو لازم الحياة الأرضية لكي يمحصوا ويكملوا ويكونوا أهلاً للتفضيل علىٰ الملائكة. واذا كان الاقتراب الى هذا الشجرة لابدّ منه كي يصل الانسان الى المقام الأعلىٰ من الملائكة، فهو أمر لازم وضروري، ولذلك شاءت الإرادة الالهية واقتضىٰ نظام الخلق ان يكون هذا الأمر. وانت تستطيع ان تطالع وتنظر بدقة الىٰ الموارد الأخرىٰ التي ذكرت فيها عبارة

---

١) لما إفترق الخضر عن موسىعليه السلام قال له ﴿امّا السّفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردتُ أن أُعيبها وكان ورائهم ملك يأخذُ كلّ سفينة غصباً﴾.

﴿وأمّا الغلامُ فكان أبواهُ مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفرا، فأردنا أن يُبدلهما ربُّهما خيراً منه زكاة وأقرب رحماً﴾.

﴿وأمّا الجدارُ فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنزٌ لهما وكان أبوهما صالحاً فأرادَ ربُّك أن يبلغا أشدّهما ويستخرجا كنزهما رحمةً من ربّكَ..﴾ (سورة الكهف: الآية ٧٩ ـ ٨٢).

فترىٰ ان جميع هذه الأسباب مخفية عن عامّة الناس وتظهر لهم وكأنها أخطاء ومخالفات ولكن عند الاطّلاع على أسرارها يتبين لهم عدم كونها خلافاً بل أنّها مطلوبة.

المخالفة والمعصية والذنب في حياة الأنبياء وتتضح لك باكتشاف المصالح والأسرار الكامنة فيها[١].

هل هذا ذنب ؟!

أمّا ماورد في استعماله كلمة ذنب في حقّ نبيّ الاسلام ﷺ فما ورد منه في سورة الفتح له تفسير والموارد الأخرىٰ لها معنىٰ خاص، تختلف عن معنىٰ الذنب المعروف.

ففي أول سورة الفتح يقول تعالىٰ لنبيه: **﴿إنّا فَتحنا لكَ فتحاً مبيناً ـ فتح مكة ـ لِيغفرَ اللهُ لكَ ما تقدمَّ مِن ذنبكَ وما تأخر﴾**، في حين أنّه لايوجد أيّ ارتباط بين فتح مكة وغفران الذنب. لكن لو رجعنا الىٰ الأصل اللغوي لكلمة الذنب لاتضح لنا الأمر كاملاً ولعرفنا الارتباط، حيث انّ كلمة الذنب تعني التتمة والعاقبة[٢] أي ليس معناها المباشر هو الذنب المصطلح بل انّ عاقبة وأثر العمل السيئ يُقال له ذنب.

وبعد ان عرفنا هذا المعنىٰ، فاننا نعلم حالة النبي ﷺ مع كفّار قريش وجهاده لاقتلاع الأسس الفكرية التي تقوم عليها حياتهم وخاصّة بعد الهجرة وما تلتها من حروب وغزوات، فكان النبي ﷺ يعيش في وضع حسّاس بحيث لو بقيت مكة عاصمة المشركين ومركز حياتهم في أيديهم فانّها تبقي عامل خطر وتهديد ومصدر ازعاج، لكن لما فتحت مكة اطمأن النبي ﷺ وأمن العواقب السيئة الماضية منها والقادمة.

---

١) البعض أجاب على الاشكال اعتماداً على حديث حسنات الأبرار سيئات المقرّبين.

٢) يقول الراغب في المفردات.. والذنب في الأصل الأخذ بذنب الشيء.

وهذا هو معنىٰ العفو والمغفرة [١] الذي حصل بواسطة فتح مكة والآيات التي تتلوا الأولىٰ تبيّن المعنىٰ جيداً.

وبذلك يتضح أنّ الذّنب في الآية الكريمة ليس بمعنىٰ الذنب المصطلح.

وأمّا ماورد من استعماله كلمة الذّنب في مواضع أُخرىٰ فتأويله هو انّ النّبي في مرحلة التبليغ وايصال ما تلقاه من الوحي الى الناس لابدّ له من النزول الىٰ مستوىٰ يمكنه من الاتصال بعامّة الناس ومعاشرتهم وهذا بنفسه يؤثّر على درجة توجّه النّبي وارتباطه المناسب لشأنه ومقامه الشّامخ، وإن كان الارتباط بالناس أمراً واجباً وتتوقف عليه المصالح العامّة لنظام الخلق كما ذكرنا سابقاً. وهو في نظر الأنبياء ليس إلّا رأفة ورحمة.

ولعلّ هذا المقصود ممّا روي أن حسنات الأبرار سيئات المقربين.

---

١) يقول الراغب في المفردات الغفر لباس ما يصونه عن الدنس.

لِمَ كان نبي الاسلام ﷺ آخر نبي ؟

الطّالب: هل يمكن أنّ أطرح في آخر هذا البحث سؤالاً آخر ؟
: عفواً تفضل .

النّبي الخاتم :

الطّالب: بهذا البيان الذي تفضلت فيه حول ضرورة وجود الانبياء والحاجة اليهم ، فهذا لايختص بزمان معيّن ومجتمع خاص ، بل لابدّ من النبي في كلّ زمان لأنه الرّابط بين الخلق والخالق ، في حين أنّكم تعتبرون ان النّبوّة قد توقفت وان نبي الاسلام ﷺ خاتم الأنبياء ، واضافة الى ذلك فان كون العالم في تطوّر وتوسّع مستمر وتعدد ميادين الحياة وحدوث مسائل جديدة يقتضي شدّة الحاجة الى الأنبياء ، فارجوا أن تبيّنوا كيف توجه هذه القضية ؟

طريق واحد نحو هدف واحد :

ـ قبل ان نتكلم عن مسألة ختم النبوّة يجب أن ننتبه الى مسألة اساسية ملحوظة في منهج الأنبياء والرّسل .

الطّالب: عفواً تفضل .

ـ يجب أن نعلم بأن جميع رسل الله وما جاءوا به من رسالات وشرائع في

أي مكان وزمان وجدوا، كانوا يدعون الناس جميعاً بقلب واحد ولسان واحد نحو طريق واحد يوصلهم الى هدف مقدّس واحد، وهو المنزل الأخير للانسانية.

ولم يكن بينهم إلّا اختلافات جزئية في أساليبهم العملية التي ترتبط بالظروف الزمانية والمكانية وقابلية الناس في القرون المختلفة التي كانت تستوجب التدرج في التكامل.

الطّالب: إن هذا التّكامل موجود الآن أيضاً ولا يتوقف أبداً. فان التكامل العام من أعمق قوانين نظام الخلق وفي ظله يتغيّر الناس ويخضعون للتطورات وفي كل دورة من الزمان توجد مرحلة من التكامل ولابدّ من وجود النبي طبقاً لما ذكرناه في بحوثنا السابقة.

ـ هذا صحيح واسمح لي ـ ليتضح الموضوع شيئاً فشيئاً، ونعرف كيف يتمّ الجمع بين ختم النبوّة وبين بقاء قانون التكامل على حاله ـ أن أذكر مقدّمة للبحث وهي أن جميع الأنبياء يدعون الى طريق واحد وهدف واحد[1].

فلو نظرت الى جميع المذاهب الدّينية العقائدية وألوان الفكر الديني لرأيت أنّها تقول بلسان واحد ان للوجود مبدأ ومصدراً واحداً خلقت الموجودات بقدرته وارادته والجميع يرجع اليه.

ونعتقد بان الله عالم قادر مطلق حي مريد وأنّه باق أزلي أبدي ﴿**كلّ شيء هالك إلّا وجهه**﴾[2].

---

١) ﴿قولوا آمنّا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيّون من ربّهم لانفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾. (سورة البقرة: الآية ١٣١)

٢) سورة القصص: الآية ٨٨.

وحول مستقبل الانسان والعالم يقول الجميع بقلب واحد ولسان واحد ان هناك قيامة هي نهاية هذا العالم وفيها يظهر نتائج أعمال الناس وثمار سعيهم على حقيقتها وكلّ ينال جزاؤه ان خيراً فخير وان شراً فشرّ [١]، فهذه نظرتهم الى الكون.

وهاتان المسألتان يطلق عليهما المبدأ والمعاد وبينهما ارتباط خاص واتحادهما الفلسفي والعيني له آثاره المختلفة.

وجميع الأنبياء عليهم السلام يقولون بالحاجة الى ماوراء الطبيعة من أجل ارشاد الناس، وكما ذكرنا من ان الجهاز الادراكي للناس غير قادر على معرفة جميع المصالح والمفاسد، وبتعبير فني يجب ان نقول: ان الأنبياء جميعاً متفقون في مسألة النبوّة العامة..

كما انّ الأنبياء جميعاً يشتركون في النظر الموافق الى جميع الأصول الأخلاقية وأسس الفضائل الأنسانية كما يندد ون بالرذائل والقبائح بلحن واحد.

كما أنّهم يتفقون بالنظرة العامة في المسائل العملية فيما يرتبط بهذا العالم، كما ان نظرهم واحد تقريباً فيما يرتبط بالعبادات والحياة الآخرة.

وبعبارة أصحّ يجب أن نقول: انّ جميع الأنبياء متفقون فيما يرتبط بالحياة المادية والمعنوية للناس.

كما أنّهم متفقون في النظر الى المسائل الاقتصادية والاجتماعية والحقوقية و... ولا يوجد بينهم اختلاف اساسي.

وأيضاً هم متفقون في كيفية اجراء المعاملات بأشكالها المختلفة من

---

١) سنبحث في الجزء الثاني من هذا الكتاب ان شاء الله هذه المسألة مع مسألة الامامة.

زواج وتجارة وبيع وادارة للمجتمع، والعلاقة بين الحكومة والمجتمع وطريقة تطبيق الاحكام العامة في شؤون حياة المجتمع.

وهم متساوون أيضاً في كليات العبادات كأصل الصلاة والزكاة والصيام والحج منذ زمان ابراهيم عليه السلام وما بعده حيث تم بناء الكعبة على يديه مع ابنه اسماعيل عليه السلام، كذلك الخمس وبقية العبادات كانت موجودة في الشرائع السابقة[1].

وبالنتيجة ينبغي القول بان الأنبياء خلافاً للفلاسفة وأصحاب العقائد الأخرىٰ متفقون جميعاً وكلهم يقودون البشرية الى طريق واحد وهدف واحد.

أي اتحاد هذا؟

الطالب: إنّني حسب ما أعلم أنّ هناك اختلافاً بين الأديان والمذاهب في كثير من المسائل الكلية التي أشرت اليها كما أنّ اختلافهم في الأساليب العملية محسوس جداً.

فالمسيحية مثلاً تعتقد بالتثليث واليهودية بالتثنية كما ان الطقوس والعبادات في الكنائس ومعابد اليهود تختلف عمّا هي في مساجد

---

١) لقد بيّن القرآن الكريم هذه الحقيقة بانحاء مختلفة فتراه ينقل عن لسان عيسىٰ المسيح عليه السلام قوله ﴿.. وأوصاني بالصّلاة والزّكاة مادمتُ حياً﴾ وبرّاً بوالدتي ولم يجعلني جبّاراً شقياً﴾ (سورة مريم: الآية: ٣١ ـ ٣٢).

وحول الصيام يقول تعالىٰ ﴿ياأيّها الذين آمنوا كتب عليكم الصّيام كما كتب علىٰ الذين من قبلكم لعلّكم تتقون﴾ (سورة البقرة: الآية ١٨٣)

أي ان تشريع الصيام عليكم مثل تشريعه علىٰ الأمم السابقة.

المسلمين.

وفي المسيحية لاينظر بمنظار ديني الى المسائل الاقتصادية والسياسية بل وحتىٰ الى الحقوق الاجتماعية.

واذا كان وضع الأديان الكبرىٰ بهذا النحو فبقيّة الأديان والمذاهب ستكون أسوأ حالاً، وحينئذٍ فكيف يمكن أن نصدق بأن جميع الأنبياء متفقون في دعوة البشرية الى طريق واحد وهدف واحد.

ـ نعم اذا نظرنا الىٰ الأديان بما هو في أيدي اتباعها اليوم فالأمر كما تقول، لكن لو قمنا بصدد معرفة هذه الأديان وقررنا ان نعرف حقيقة أفكار موسىٰ الكليم وعيسىٰ المسيح عليهما السلام والتي نزلت اليهما عن طريق الوحي وبلغاها للناس فحينئذٍ سيتضح الأمر.

وموضوع معرفة أسس هذه الأديان خارج عن بحثنا لكن من المسلّمات التي لايعتريها الشك ان العهدين وهما أقدس كتابين عند اليهود والمسيح وقد كتبهما تلامذة النبي موسىٰ والنبي عيسىٰ عليهما السلام وسُمِّيا باسميهما، قد وقع التحريف فيهما وقد تلاعبت فيهما الميول السياسية واهواء الحكومات زيادة ونقصانا، ولذلك فانّ فيهما من التناقضات وما يخالف العقل مالو اطّلعت عليه بمراجعة الكتب المؤلفة في هذا المجال لاتضح لك الأمر كاملاً.

وبناء علىٰ ذلك فان مسائل التثليث والثنوية و ... في العقائد، وشرب الخمر وغيره من الاعمال المذكورة باسم الدين في هذين الكتابين لايمكن حسابها علىٰ الدين والله والنبي.

نعم ان اسلوب بيان المواضيع والاحكام وكيفية تعليم الأنبياء تتبع بلا شك ظروف الزمان وقدرة ادراك الناس وتتأثر بها فلكل ظرف شكله

المتناسب من التبليغ والتفصيل ، لكن إلٰه آدم الصفي وابراهيم الخليل وموسىٰ الكليم وعيسىٰ المسيح وإلٰه نبي الاسلام ﷺ واحد كما ان القيامة في عقيدتهم واحدة وكذلك الكليات الفكرية والعملية والاخلاقية كما قلنا واحدة .

الطّالب: فاذا كانت كتب الأنبياء محرّفة ولم يكن في أيدينا مصدر صحيح من الأنبياء الآخرين فكيف نعرف أفكارهم وعقائدهم حتىٰ نعلم بوحدة نظرهم .

ـ هناك عدد من المسائل واضحة بنفسها ولايمكن نسبتها الىٰ دين من الأديان ، وأفكارها وأعمالها تشهد بانّها ليست الٰهية ولم تنزل من الله تعالىٰ علىٰ نبي من الأنبياء ، كنسبة الجسم الى خالق الوجود وتشبهه بانسان في مجال الاعتقادات واباحة الخمر والزنا بالمحارم وأمثال ذلك في مجال الاعمال .

واضافة الىٰ ذلك فاننا بعد ان أثبتنا نبوة نبي الاسلام ﷺ فان القرآن الكريم الذي هو معجزة النبي الخالدة الموافقة لكل الأصول العقلية والعقلائية ، يعتبر أن جميع الأديان والأفكار الالهية واحدة[1] فيتضح لنا الموضوع بشكل كامل .

---

١) كما في قوله تعالىٰ ﴿آمن الرّسول بما أُنزل اليه من ربّه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرّق بين أحد من رسله ...﴾ .(سورة البقرة : الآية ٢٨٥)
ويؤكد القرآن هذا المعنىٰ في مواضع كثيرة ، وقريب من معنىٰ الآية المذكورة قوله تعالىٰ في الآية ١٣٦ من نفس السورة والآية ٨٤ في سورة آل عمران .
وفي سورة الأعلىٰ وبعد ذكره لعدد من المسائل الاخلاقية بنحو خاص ، يقول تعالىٰ ﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا* والآخرة خير وأبقىٰ* ان هذا لفي الصحف الأولىٰ* صحف ابراهيم وموسىٰ﴾ الآيه ١٦ تا ١٩ ، ومن البديهي ان ذكر اسم هذين النبيين كان بعنوان النموذج .

الطّالب: على كلّ حال فكما ذكرت ان مسألة معرفة المذاهب والأديان بحث مستقل لاربط له بنا فعلاً، فسواء كان الأنبياء متفقين في منهجهم أو مختلفين أو كانوا متفقين في الأصول ومختلفين في بعض الفروع فذلك لا أثر له علىٰ بحثنا، لأننا نبحث عن سبب ختم النبوّة مع اننا اثبتنا الحاجة الىٰ النبي في كل زمان، وهذا يحتاج الىٰ دليل مستقل.

ـ نعم كما تقول ونحن لم نقصد ان ننهي بحث ختم النبوّة باثبات وحدة خط ومنهج الأنبياء وانما ذكرنا ذلك علىٰ نحو المقدمة ولو تابعنا المسألة بدقّة فستتضح لنا.

والآن لنرىٰ لماذا طُويَ بساط النبوّة؟

فبالنظر الىٰ فلسفة النبوّة وضرورة ارسال الرسل التي بحثت سابقاً يتضح لنا أن الأديان الالهية بدأت بتكامل الانسان من مراحله الأولىٰ وتابعت الناس حتىٰ أوصلتهم الىٰ حدّ الرشد والبلوغ أي الظهور الكامل واليقظة التامّة لقوّة العقل واحياء الحجّة الباطنية، وعندما بلغ النوع الانساني ووصل الىٰ مستوىٰ يستطيع فيه أن يدير أُموره بنفسه في موارد الحاجة ترك الانسان مع هذه الحجّة أي العقل وصار أوضح مقياس وأعلىٰ ميزان لديه هو المصباح الذي يضيئ له الطريق، وبعد أن يعرف الطريق الأصلي والصراط المستقيم يستطيع الاستفادة من هذا المصباح لمعرفة منعطفات الطريق وعقباته.

الطّالب: يعني إنّك تقول بان النوع الانساني أصبح بالغاً بمجيئ الاسلام وانتهت الحاجة الىٰ الدين.

ـ كلا أبداً فلم تنته الحاجة الىٰ الدين لأن الحاجة الىٰ الدين وكما ذكرنا سابقاً أمر دائمي كامن في طبيعة الناس وفطرتهم، بل اننا نقول ان الحاجة الى

دين جديد قد انتهت ، وبعبارة أوضح أنّه بمجئ الاسلام انتفت الحاجة الىٰ نبي جديد ودين جديد لأن لكل مسألة مستحدثة تحصل بسبب التكامل المستمر قانوناً عاماً قابلاً للتطبيق على كلّ الحوادث ومتناسب مع التكامل ويتم تطبيقه بمساعدة العقل .

واسمح ان أذكر مثالاً ليتضح الموضوع وقد لمستك من خلال البحث تحب ذكر الأمثلة .

الطّالب : نعم ، أن الأمثال لها دور مؤثر في حصول الفهم بالنسبة لأمثالي .

الىٰ حدّ البلوغ :

ـ إنّنا عندما نرسل أبناءنا الى الرّوضة ثمّ المدرسة الابتدائية ثم الىٰ الثانوية والجامعة فانّما نرسلهم لغرض تقوية ادراكهم وفهمهم بعد تعلّم القراءة والكتابة ولأجل ان يتعرفوا علىٰ طريق العلم والحياة ويعتمدوا علىٰ أنفسهم ويحققوا السعادة لأنفسهم في ميادين العلم والعمل .

ونرىٰ هنا أن مناهج الرّوضة تختلف تماماً عن المدرسة الابتدائية كذلك الابتدائية تختلف عن الثانوية في اسلوب التعليم ومستوىٰ الموضوعات الدراسية ، ولكن عندما يبلغ الطّالب الدراسات العالية وتكتمل قدرته علىٰ الادراك والتشخيص فحينئذٍ لا حاجة للطالب في حل ما يواجهه من المسائل العلمية والعملية الىٰ المناهج الجافة المُعدّة للمراحل الابتدائية والمتوسطة ، بل ان الطّالب عندما يدخل الدراسات العالية يكون قد تعلّم مجموعة من الكليات والقوانين العامة ويستطيع تطبيقها على مايحدث له من حاجات بواسطة ما استفاده من علم وخبرة .

طبعاً أن هذا لايعني أنّه قد تمّ الاستغناء عن كل منهاج وحكم ، بل ان أسس المناهج ثابتة ، ويتمّ تطبيقها على الظّروف المختلفة . ونفس الشيء بالنّسبة الى الطّفل حيث يخضع في زمان طفولته الى مراحل مختلفة من التّربية والرّعاية في المأكل والملبس والمسكن ، حتىٰ اذا وصل الى حدّ البلوغ واستطاع أن يميّز ما يفيده ممّا يضرّه فحينئذٍ يترك هو معلوماته ليشقّ طريق حياته ويواجه الحوادث بنفسه.

وهذا أيضاً لايعني انّه يستغني عن الأحكام والقواعد العامّة السّابقة، بل أنّه يطبقها في شؤون حياته بما يناسبها.

فكذلك النوع الانساني في طول تاريخ البشرية بالنّسبة الىٰ نظام التّربية والتعليم الذي قام به الأنبياء الالٰهيون . فلقد واصلت البشرية مراحل تكاملها تحت رعاية واشراف الأنبياء ونجت من المهاوي والمتاهات ، حتى اذا اشرقت شمس الاسلام وشعّ نورها ، وصلت البشرية الىٰ حدّ بلوغها واكتمل عقلها وصار الانسان يستطيع ان يلبّي حاجاته ويحل معضلاته بالاعتماد على فكره وادراكه العقلي .

ولا يعني ذلك الاستغناء عن أصل الدين، بل أن عمومات الدين اذا أُحسن استعمالها فانها ستحقق أعظم النتائج [1].

---

١) وهنا يظهر أثر مقدمة البحث ، لأن النوع الانساني في طول تاريخ الأديان وبعد ان يقرّ بتوحيد الله ويعترف بالقيامة ويوم المعاد ويدرك ضرورة النبوّة ويؤدي الهيئة العامة للصلاة والصوم والزكاة والحج و ... وحكم بوجوب التحلي بالفضائل الانسانية وترك الرذائل، فلا شك انه يستطيع بسهولة ان يعالج المسائل المستحدثة والحاجات المستجدة بالمراجعة الى عقله ، يعني ان الانسان الذي يمتلك الدين الكامل يستطيع ان يكيّف نفسه مع زمان بتطبيق الزمان مع الدين لا الدين مع الزمان .

العقل الحي:

وملخص القول هو أن الأديان قد رافقت النوع الانساني في مراحل تكامله خطوة خطوة الى الامام، وقدمت له في كل زمان ماينا سب ادراكه وقابليته أصولاً ثابتة وموضوعات معينة بلغات وألسنة مختلفة، وفي النهاية وعندما صار العقل قابلاً لتوجيه الانسان أيقظه الاسلام وأوكل اليه كل الأمور حتىٰ الأُمور التعبدية بحيث لم تبق حاجة لارسال نبي جديد، ولو فرضنا مجئ نبي جديد يأتينا بأحكام موافقة للعقل، فاحكامه ستكون هي الاسلام لا غير ولو جاء بما يخالف العقل فما هو من الله والدين بشيء.

الفطرة سرّ أبدية الاسلام:

ـ لو أردنا ان نكشف حقيقة بقاء الاسلام وخلوده ونبيّن العلّة الأصلية لأبدية الاسلام وختم النبوّة فيجب أن نقول أنّها تكمن في أمر واحد وهو ان الاسلام يلتفت الى جميع الحوائج الانسانية التي يقتضيها نظام خلق الانسان أي ان الاسلام ينظر الى الجسم والروح بمنظار واحد ويرىٰ تأثير أحدهما بالآخر ويلتفت الى حاجاتهما في مختلف الظروف الفردية والاجتماعية فيلبيّها بواسطة القوانين الكلية الثابتة التي جاء بها وبذلك تنتفي الحاجة لبعث نبي جديد.

وبعد ان ثبتت نبوّة قائد الاسلام ﷺ فان الله وصفه بانّه آخر نبي[1]

---

١) يقول القرآن الكريم ﴿ماكان محمّد أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النّبيين﴾ (سورة الأحزاب: الآية ٤٠).
وكذلك قال النّبي ﷺ الذي لاينطق إلّا عن الوحي لعلي عليه السلام:
«ياعلي أنت منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا انّه لانبي بعدي».

وحيث ان المسألة ذات صبغة الٰهية وهي اختيار من الله بعد ثبوت أصل النبوّة فلابد من القول بثبوتها والاذعان اليها.

الطّالب: كيف تثبت نبوّة نبي الاسلام ﷺ ؟

ـ ان لدينا في أمر نبوّة نبي الاسلام ﷺ دليلاً واضحاً نكتفي به وهو في متناول أيدي البشرية الىٰ الأبد.

فهل يمكن لشخص أميّ لم يرَ معلماً وولد وترعرع في مجتمع جاهلي متخلّف وظروف عيش صعبة حالكة وظلام دامس، أن يأتي بكتاب يحتوي علىٰ أعمق وأدقّ المواضيع العلمية والعقائدية والاجتماعية ويبحث فيما تحتاجه البشرية في كل المجالات ومع خلوّ القرون والأزمان وتطوّر الانسان والعالم لم تظهر في هذا الكتاب أدنىٰ نقطة ضعف، بل أن عظمته وعجائبه تتضح يوماً بعد يوم؟

فهل يمكن لانسان كهذا أن يأتي بمثل هذا الكتاب من دون الارتباط بما فوق الطبيعة؟ خاصّة مع النظر الى قوله إنني جئت بهذا الكتاب من الله وان كنتم في ريب منه فأتوا بسورة بل بآية من مثله، ولم يستطع أحد في طول القرون والاعصار ان يواجه هذا التحدّي ويأتي ولو بآية واحدة.

فهذا هو نبي الاسلام ﷺ المؤيد كلامه من الله يقول انني آخر الانبياء ولا نبي بعدي.

واذا سمحت نختم بحث النبوّة هنا و أنا سعيد حيث أن البحث تناول الجهات الاساسية لمسألة النبوّة ولو رمت التفصيل فراجع الكتب التي لها صلة بالموضوع [1].

الطالب: مع ان أساس النبوّة ضروري وبالدليل المذكور ثبت ختم النبوة

---

١) ذكرت تفاصيل حول النبوّة الخاصة في كتاب (الباحث عن الحقيقة) للمؤلف.

بمجئ نبي الاسلام ، لكن هنا يبرز سؤال هو ان تكليف المسلمين كيف سيكون بعد رحيل خاتم الانبياء ﷺ ؟ فهل يرفع بساط الدين وأشرافه وادارته للحياة وتطوئ صفحاته ، أم أن الأمر ينجر الى البحث عن الخلافة والنيابة ؟

: من الواضح أن الدّليل الذي أثبت ضرورة النبوّة يثبت بأن بساط النبوّة لايرفع واشرافه وولايته لاتنتهي ، وأمّا مسألة النيابة والخلافة فاسمح لنا ان نؤجلها الئ لقاء آخر .

ولأجل ان يكون البحث شاملاً لأصول الدين الخمسة فاننا سنتكلم عن النيابة أي الامامة ثم ننتقل الى بحث المعاد لأننا بالتدريج فرغنا عن بحث التوحيد والعدل والنبوّة وبقيت مسألتا الامامة والمعاد وسنتكلم عنهما في اللقاء المقبل إن شاء الله تعالئ [1] .

ونسأل الله التوفيق

قم / محمّد اليزدي

---

١) سيصدر قريباً كلا البحثين بنحو مستقل ان شاء الله تعالى.

المحتويات

تمهيد ٣
مقدّمة الطبعة الأولىٰ ٧

الرّكن الأوّل / في العقيدة الاسلامية / التّوحيد

وجودالله ١٥
الصّدفة أم السّببية ؟ ٢٠
العالم الخالد ٢٧
هل يوجد الله تعالىٰ في عالم الخلق ؟! ٣٣
اللهُ واحد ؟ ٥٧
ليس الواحد الحسابي ٥٧
ليس الواحد التّصوري ٥٨
الواحد الحقيقي ٥٩
أكثر دقة ٦١
إلٰهُ الاسلام ٦٣
الله تعالىٰ مصدر كل الأشياء ٦٤
تدبير الله في الكون ٦٤
الله في الطبيعة ٦٦

العالم في أمر الله ٦٦
الله في خلق الانسان ٦٧
توحيد الله ٦٨

الركن الثاني / في العقيدة الاسلامية / العدل

أيّ إله عادل هذا ؟! ٧٣
ضرورة الخلق ٧٥
أيُّ إرتباط ؟ ٧٦
الاختلاف أمر طبيعي ٧٧
الكلّ بنحو واحد ٧٨
ضرورة الخلق ٧٩
الميكروبات لماذا ؟! ٨٠
النّتيجة ٨١
الاختيار ٨٥
في كل شيء حكمة ٨٥
أكرِّر ثانية ، اي ذنب ؟ ٨٦
النّتيجة لا الذّنب ٨٧
العدل ، لا المساواة ٨٩
العدالة في مراحلها الثّلاثة ٩١
رواية عن الامام علي عليه السلام ٩٢

الركن الثالث / في العقيدة الاسلامية / النّبوّة

النّبوّة والرسالة ٩٥

القوّة الباطنية ٩٦
للأطمينان ٩٧
الأنبياء كذلك ٩٧
اشارة مهمة ٩٩
من يعلم؟ ١٠١
ضرورة نظام المرشد في الخلق ١٠٤
طريق أسهل ١٠٦
فأيّهما نختار؟ ١٠٩
المعجزة ١١٢
تلقي الوحي ١١٤
العصمة ١١٦
العلم بلا عمل ١١٩
ذنوب الأنبياء عليهم السلام ١٢١
هل هذا ذنب ؟! ١٢٤
لِمَ كان نبي الاسلام صلى الله عليه وآله آخر نبي ؟ ١٢٦
النّبي الخاتم ١٢٦
طريق واحد نحو هدف واحد ١٢٦
أي اتحاد هذا؟ ١٢٩
الىٰ حدّ البلوغ ١٣٣
العقل الحي ١٣٥
الفطرة سرّ أبدية الاسلام ١٣٥